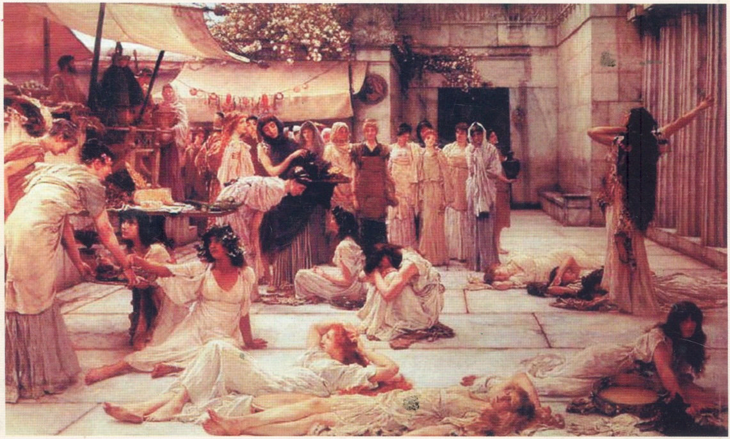
مجلة الثقافة
الوطنية
الديمقراطية

أدب ونقد

أغسطس
٢٠٠٧
العدد ٢٦٤

نازك الملائكة: الثائرة الملتزمة

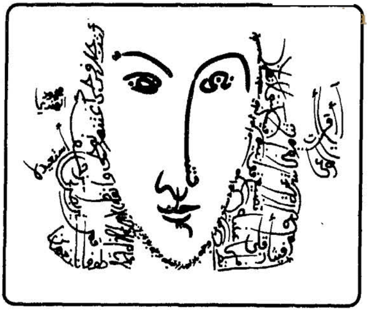


- المواطنة في الأسر
- شهادات في المصادرة
- إبداع ثرى وهواء قليل
- رؤية حضارية للدين
- سبب للحب .. قصة اسبانية
- برادة يكتب عن طواحين أبو رية
- الزمن بين الطيب صالح وبروست

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

أدب ونقد

عدد ٢٦٤ أغسطس ٢٠٠٧



رئيس مجلس الإدارة: د. رفعت السعيد

رئيس التحرير: حلمى سالم

مدير التحرير: عيد عبد الحليم

مجلس التحرير: د. صلاح السروى/ طلعت الشايب/ د. على مبروك/ غادة نبيل/ ماجد يوسف/ د. شيرين أبو النجا

أدب ونقد

مستشار التحرير: **فريدة النقاش**

المشرف الفني: **أحمد السجيني**
إخراج فني: **عزة عز الدين**
مراجعة لغوية: **أبو السعود على**

لوحتا الغلاف الأمامي والخلفي: **من التراث العالمي**
الرسوم الداخلية للفنان: **محمود الهندي**

الاشتراكات لمدة عام
باسم الأهالي/ مجلة (أدب ونقد): داخل مصر ٧٥ جنيها
البلاد العربية ٧٥ دولارا/ أوروبا وأمريكا ١٠٠ دولارا

يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدي أو البريد الإلكتروني:
Editor @ al - ahaly. com

المراسلات: مجلة (أدب ونقد) ١ شارع كريم الدولة/ ميدان طلعت حرب
القاهرة/ هاتف ٥٧٩١٦٢٨/٢٩ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

المحتويات



مفتتح

إبداع ثرى وهواء قليل

فريدة النقاش

من يتابع حركة الإبداع العربى والفكرى فى الوطن العربى سوف يدهشه ثراؤها وتنوعها ، وكم كان للتنوع والثراء أن يتضاعفا فى متوالية هندسية لو أن الكاتب العربى حر ، ولو أن المجتمع المحافظ لم يخنقه ، ولو أن المؤسسة الدينية لم تراقبه ، ولو أن الفقر لم يهدر من المنبع مواهب بلا حصر .

يقدم الكاتب العربى إبداعه رغم أن عيون البصاصين واسعة كما أن الهواء قليل .

• ••

قال يوسف إدريس - يوماً- إن الحرية المتوفرة فى العالم العربى لا تكفى كاتباً واحداً . يمكننا لأول وهلة ان نقول إنه يبالغ ، ولكن عندما نتعرف على عدد ونوعية القوانين المقيدة للحريات فى كل من مصر والوطن العربى ، وندقق جيدا فى تلك المقيدة لحريات التفكير والتعبير منها سوف نقول على التو إنه على حق .

وحين فحص العلماء والمفكرون والباحثون واضعو تقرير التنمية الإنسانية فى الوطن العربى المعوقات التى تقف حائلا دون النهضة والتنمية والتحرر حددوا ثلاثة معوقات أساسية كان على رأسها غياب الحريات، وهو الغياب الذى جعل الوطن العربى

يأتى فى ذيل قائمة المناطق التى أجرى فيها هذا القياس فجاء بعد إفريقيا جنوب الصحراء.

ولا يتعرض الكاتب لرقابة واحدة فإضافة إلى الرقابة الحكومية المتمثلة فى القوانين المقيدة للحريات والمؤسسات التى تقف للكاتب بالمرصاد إستعداداً لمحاسبته وصولا إلى سجنه، هناك رقابة المجتمع المحافظ التقليدى الذى لم تقض عليه ثورة صناعية فأخذ يتحدى الحداثة والديموقراطية وينتصر للقديم والروح الأبوية الاستبدادية ويفرض شروطاً ضمنية أحيانا ومعلنه أحيانا أخرى على الكاتب، كذلك هناك رقابة المؤسسة الدينية رسمية كانت أو أهلية ، فقد استفادت المؤسسة الدينية الرسمية من المناخ السائد ، ومن قوة النزعات المحافظة التقليدية لتحصل على مزايا قانونية جديدة تجعل منها رقيبا بإسم الدين على حرية الإبداع ، وحصل الأزهر من وزارة العدل على حق الضبطية القضائية للكتب، فلم يعد معنيا فقط بطبعات القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، كما ينص قانونه . كذلك أصبح مجمع البحوث الإسلامية سلطة رقابة بالإضافة إلى التيارات السياسية الدينية والتى أغرقت البلاد بشرائط الكاسيت والفيديو والتى تروج الخرافة والتأويل الحرفى للنص الدينى ولها تنظيماتها ومؤسساتها الإعلامية والثقافية وأذرعها التى طالت مفكرين وكتابا فأسكتتهم أو قتلتهم أو حاولت قتلهم بدعوى أنهم مرتدون مثلما حدث لكل من " فرج فودة " و" نجيب محفوظ " . بل إن كاتبا وباحثا هو " سيد القمنى " قرر أن يتوقف عن الكتابة فى الإسلاميات بعد تهديده بالقتل .

هناك أيضا صعوبات العيش وشح الرزق بسبب الإنقسام المتزايد فى المجتمع بين أثرياء شديدى الثراء وهم أقلية، وأغلبية شديدة الفقر وطبقة وسطى بينهما اخذت تنحدر بانتظام إلى صفوف الشعب ، ومن هذه الطبقة الوسطى كان يأتى المفكرون والكتاب عادة بينما تأتى اقلية منهم من صفوف الطبقات الشعبية حين تتوفر لها المعرفة والتعليم الملائم والوقت .

وإذا كان هذا العنصر الأخير لا يرتبط بشكل مباشر بحرية الكاتب إلا انه يهدر مواهب وإمكانيات كثيرة كان بوسعها فى ظروف أخرى ملائمة أن تتفتح وتغنى الحياة الثقافية بإبداعها. إن القوت هو سيف مجازى أمضى أحيانا من السيف الحقيقى .

وأذكر فى هذا الصدد أننى كنت قد تعرفت قبل ثلاثين عاما على امرأة امية تعمل

خادمة لدى أسرة قاهرية بعد ان جاءت من قريتها فى أقاصى الصعيد بحثا عن الرزق وهى طفلة ، وامتلكت رغم أميتها قدرة مدهشة على قرض الزجل بمستوى رفيع تعليقا على الأحداث والمواقف فى التو واللحظة فى بلاغة مدهشة وقدرة على نسج الصور وتضفير الكلمات وإنشاء علاقات بين الإيقاع والمجاز. وطالما تساءلت: ماذا لو كانت " ست أبوها " قد تعلمت القراءة والكتابة وأتيحت لها مكتبة الشعر العربى ، ونشرت قصائدها أو وجدت من يغنيها مع حركة نقدية تساعدها على تطوير أدواتها٠٠؟ فربماكانت حياتنا الثقافية قد اغتنت بإبداع زجاله كبيرة مدهشة ، ومثلها مئات ضاعت مواهبهم فى الفقر والبؤس والتهميش.

وبالقطع هناك آلاف من النماذج المشابهة التى لم يعرها أحد اهتماماإضافة إلى حفظة السير الشعبية مثل الهلالية التى جمعها "عبد الرحمن الأبنودى "من إنشاد هؤلاء الذين كسبوا عيشهم من إمتاع جمهورهم الفقير ، وكان بوسعهم أن يصبحوا شعراء كباراً لو توفرت ظروف أفضل للعيش .

ويشكل نقص المعرفة وهشاشة التعليم وضعف القدرة الفنية وعدم التملك للأدوات والتعرف على إمكانياتها رقابة ضمنية خفية على المبدع الذى يندفع فى تحايله على هذا الضعف إلى التماس تعبيرات مباشرة سطحية وفجة أحيانا تسيئ إلى الإنتاج فنيا كان أو فكريا وإلى قضية حرية الفكر والتعبير معا ، وكثيرا ما يستخدمها المتربصون لفرض الرقابة الواقعية .

الرقابة الذاتية

تتفاعل كل هذه العوامل مع بعضها البعض لتنتج شكلا لعله أخطر أشكال الرقابة على حرية الكاتب وهو: الرقابة الذاتية ٠ كان المسرحى الراحل " نعمان عاشور " يقول : كلما جلست لأكتب مسرحية جديدة أخرجت الرقيب من جيبى ووضعته على المكتب أمامى ، أما " توفيق الحكيم " فقال ذات مرة " هو أنا مجنون أكتب كل اللى أناعايزه " .

ويشكل الرقيب الذاتى قوة ضغط مضاعفة على المرأة الكاتبة، لا فحسب لأنها كثيرا ما تتمثل الثقافة المعادية للمرأة دون وعى منها وهى تبنى عالمها الفنى خاصة، وإنما أيضا لأن النظرة الشائعة لأدب المرأة باعتباره دائما بوحا ذاتيا لا يرقى إلى مستوى الأدب من حيث التركيب والبنية الجمالية فيصبح أقرب إلى المذكرات ، هذه

. النظرة تأخذ فى فحص الأعمال الإبداعية للنساء على نحو خاص لتفتش عن السيرة الذاتية لكاتبتها بحثا عن مادة قد تكون فضائحية فى مجتمع تقليدى ما يزال يرى أن من حقه فرض الوصاية على المرأة ومراقبتها بدعوى حمايتها أو باعتبارها عورة .

تنص المادة ٤٦ من الدستور المصرى "على أن تكفل الدولة حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية "كما تنص المادة ٤٩ على أن " تكفل الدولة للمواطنين حرية البحث العلمى والإبداع الأدبى والفنىّ والثقافى وتوفر وسائل التشجيع اللازمة لتحقيق ذلك " .

وهما من النصوص القليلة فى الدستور التى لم ترهن ممارسة هذه الحريات بتدخل المشرع لتقييدها عبر القانون ٠ ومع ذلك فإن ممارسة هذه الحريات من الناحية العملية تواجه قيودا كثيرة ذات صبغة دينية لأن الدستور الذى نص على حماية هذه الحريات هو نفسه الذى ينص فى مادته الثانية على أن الإسلام هو دين الدولة ويعتبر مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع " بما يعنيه ذلك من الخضوع لتأويلات فقهية . خاصة مع تنامى نفوذ التيارات الإسلامية المتزمتة ، وخضوع الدولة والمجتمع لضغوط تلك التيارات . وهو ما يضع الشريعة فى حالة تصادم دائم مع تلك الحريات ٠٠ "

ولعل أشهر واقعة عدوان على حرية الكاتب والباحث بإسم هذه المادة فى الدستور هو ما وقع للدكتور " نصر حامد أبو زيد " الأستاذ الجامعى والباحث فى علوم القرآن حين قام بعض الأساتذة بفحص أبحاثة ومادته العلمية للترقى فحصا دينيا بعد أكثر من ألف عام من قول " الجرجانى " الشعر بمعزل عن الدين،، مستندين إلى هذه المادة فى الدستور ثم قام آخرون بتحريك دعوى حسبة ضد الباحث مطالبين بتطليق زوجته منه لأنها مسلمة لا يجوز أن تبقى زوجة لمرتد ، وأيضا اعتماداً على هذه المادة ٠ وأخيرا قررت المحكمة الحكم بتطليق الباحثة د. ابتهال يونس من زوجها دون رغبتها إستنادا على هذه المادة فى الدستور وهددت جماعات بقتل " نصر "، وكان أن خرج من وطنه إلى المنفى الذى يعيش فيه حتى الآن، بل وقامت إدارة جامعة القاهرة بسحب كتب " نصر حامد أبو زيد " من المكتبة حتى لا يقرأها الطلاب أو يعتمد عليها الباحثون كمراجع بصرف النظر عما إذا كانوا يتفقون مع نتائج أبحاث المفكر ومنهجه أو يختلفون معها ٠ وكما هو معروف فإن توفير المادة العلمية التى كتبت فى مبحث ما

هو واحد من الحاجات الأولية لأى بحث علمى جدى ، وهو شرط لكى تتوفر الحرية الحقة للباحث أو المفكر الذى إذا حرم من المعرفة والغذاء العقلى اصبحت حريته مستحيلة ، فضلا عن ان مصادرة كتب مؤلف ماتشكل عدوانا على البحث العلمى ذاته وتعطيلا لروح النقد والأسئلة التى لا يجوز ان يحجبها شيئ والتى لا غنى لأى باحث عنها، حتى يكون بوسعه ان يجدد وان يصل إلى آفاق جديدة فى الميدان الذى تخصص فيه .

وفى هذه الواقعة وحدها . وهناك مئات غيرها . رد قوى على السؤال المطروح فى ساحة البحث العلمى والاكاديمى: لماذا لا يقدم البحث العلمى جديدا بل تكرر الأبحاث بعضها البعض فى المقدمات والنتائج؟ ولماذا يندر ان تنشر المجلات العالمية المتخصصة فى البحث العلمى النظرى ابحاثا لمصريين؟ اما عن الأبحاث التطبيقية . وهى وثيقة الصلة بالحرية وبالتقدم فى الميدان النظرى . فليس علينا إلا ان نتذكر قول رئيس الشركة القابضة للأدوية إن الشركة إضطرت للإستعانة بباحثين من الهند والصين بعد أن وجدت أن الأبحاث المصرية غير صالحة لأنها تكرر القديم ويكتبها اصحابها لمجرد الترقى .

ولم تقتصر عملية " تطهير المكتبات " على مكتبة جامعة القاهرة بل وصلت أيضا إلى مكتبة الجامعة الأمريكية بعد ان قام أهالى بعض الطلاب المتشبعين بالروح التقليدية المحافظة والمتأثرين بالجماعات الدينية والذين يفرضون هم أنفسهم الوصاية والرقابة على عقول ابنائهم بحكم الأبوة . قاموا بتقديم شكوى إلى إدارة الجامعة لأن أستاذا دعا طلابه إلى قراءة كتاب المفكر الفرنسى " مكسيم رودنسون " عن النبى " محمد "، وطالب الآباء بتطهير المكتبة من الكتاب بل ومعاقبة الأستاذ الذى دعاهم للقراءة • وحدث الشيئ نفسه مع واحد من الكتب الثمينة الكلاسيكية والنادرة فى تاريخ الأدب العربى الحديث وهو كتاب النبى " لجبران خليل جبران " كذلك مع الرواية المغربية " الخبز الحافى " لمحمد شكرى، وهى سيرة للمهمشين والضائعين فى الضواحى الفقيرة مكتوبة بشعرية عالية • وقيل ان عدد الكتب التى جرت إزاحتها من رفوف الجامعة الامريكية بلغت تسعين كتابا .

بل إن وزارة الثقافة فى إستجابة لضغط الجماعات الدينية جمعت من الأسواق رواية نشرتها الثقافة الجماهيرية بعد أن كانت قد صدرت خارج مصر قبل عشرين عاما هى " وليمة لأعشاب البحر " للكاتب السورى " حيدر حيدر "، ثم فعلت نفس الشيئ مع

ثلاث روايات أخرى لكتاب مصريين. وبلغت روح التزمت والمراقبة مدى غير مسبوق حين أخذ عمال المطابع انفسهم يراقبون المطبوعات بدعوى خروجها على الدين أو تضمنها صورا عارية وكأننا نعيش فى كنف طالبان .

ويعرف القاصى والدانى ان أحد الناشرين اللبنانيين قد كون ثروة من طباعته رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ وبيعها فى كل أنحاء العالم بينما هى ممنوعة من التداول فى مصر .

سجل القيود

وسجل القوانين المقيدة لحرية التعبير طويل ٠ ولنبدأ بأحدثها. فبعد معركة طويلة هدد فيها الصحفيون بالإضراب وتوقيف الصحف عام ١٩٩٥ صدر القانونان ٩٥ لسنة ١٩٩٦ ، و٩٦ لسنة ١٩٩٦ حافلين مع ذلك بالمواد المقيدة للحرية رغم تخفيفها ، إذ يعاقب الصحفى بالحبس أو الغرامة ، ولا تتجاوز عقوبة الحبس مدة سنة ، أما الحد الأدنى للغرامة فهو خمسة آلاف جنيه كحد أدنى وحد اقصى عشرين الف جنيه ، وجعل سوء النية شرطا لإعمال هذه العقوبة إتفاقا مع الأصل العام الذى يجعل حسن النية سببا عاما لإباحة الجرائم عموما .

وجرى تخفيض عقوبة الحبس فى جريمة القذف فأصبحت من ٢٤ ساعة إلى سنة. ورغم حقيقة أن هذين القانونين قد خففا بعض العقوبات التى كانت مقررة سابقا لمايسمى بجرائم النشر إلا انه أبقى على عقوبة الحبس التى تلقى الصحفيون المصريون وعدا من رئيس الجمهورية بالغائها فى فبراير ٢٠٠٤ أثناء إنعقاد المؤتمر الرابع للصحفيين ، وهو الوعد الذى لم يجد طريقه إلى التنفيذ حتى هذه الساعة ، وكان موضوعا أساسياً فى الانتخابات الأخيرة لنقيب الصحفيين فى سبتمبر الماضى .

كذلك بقيت ترسانة من القوانين المقيدة لحريات الكتاب والصحفيين دون أن تمس مثل قانون المطبوعات رقم ٢٠٠٩ لسنة ١٩٣٦ ، والمعدل بالقانون رقم ٣٧٥ لسنة ١٩٥٦ ، والقانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٩٢ .

وهناك أيضا قانون العقوبات رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ والتعديلات المختلفة التى ادخلت عليه خاصة القانون رقم ٢٩ لسنة ١٩٨٢ ، والقانون رقم ١٩٩ لسنة ١٩٨٣ ، والقانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٩٢ والقانون رقم ٩٣ لسنة ١٩٩٥ وصولا إلى القانون رقم ٩٥ لسنة ١٩٩٦ كما أن هناك موادا فى قانون المخابرات العامة ١٠٠ لسنة ١٩٧١ والمعدل بالقانون (١) لسنة

. ١٩٨٩

كذلك هو القانون رقم ٣١٣ لسنة ١٩٥٦ بحظر نشر اية أخبار عن القوات المسلحة والمعدل بالقانون رقم ١٤ لسنة ١٩٦٧ وقانون الأحزاب السياسية رقم ٤٠ لسنة١٩٧٧ والمعدل بالقانون ٣٦ لسنة ١٩٧٩ والقانون ١٤٤ لسنة ١٩٨٠ ، وقانون الإجراءات الجنائية رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٠ وتعديلاته ، ومواد فى قانون الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء ، وقانون العاملين بالدولة ، وقانون الازهر .

منهج عقابى

وتتسم المنظومة القانونية فى مصر فيما يختص بحرية التعبير بسيادة المنهج العقابى متجاهلة أن المنهج الجنائى ليس هو أنسب المناهج القانونية لتلافى الأضرار التى تنتج عن الشطط فى حرية التعبير نظراً لطبيعة محتوى التجريم ذاته ، وهو الإنتاج العقلى ، واستعصاء هذا المحتوى على الضبط القانونى ، بينما تتجه السياسة الجنائية الحديثة للاعتماد على مواثيق الحرية وحقوق الإنسان ، بينما تبقى العقوبات السالبة للحرية فى قضايا النشر بواسطة الصحف هى السائدة فى بلادنا وهى سيف مسلط على رقاب الكتاب مع العلم أن مثل هذه العقوبات قد الغيت فى بريطانيا فى قضايا النشر منذ عام ١٨٨٠ والغيت فى فرنسا ف ديسمبر ١٩٢٨، باعتبار أن العقوبة السالبة للحرية تهدف إلى تحقيق الردع والترويع والانتقام ، وينبغى فى مجتمع متحضر استبعاد الانتقام ، أما الردع والترويع فيحول العقوبة فى قضايا التعبير والنشر إلى عقوبة مانعة لممارسة حرية الكتابة والصحافة ولا تحقق العقوبة السالبة للحرية أى صالح للمتضرر إلا الرغبة فى الانتقام .

أما إذا انصب الوصف التجريمى على آراء أو افكار او عقائد أو خلجات ضمير أو نزوع عقلى فقد فقد النص الجنائى مبرر وجوده لانه سيستحيل عليه تحقيق الردع العام والردع الخاص على السواء، ويتحول النص الجنائى من اداه لضبط السلوك فى المجتمع عن طريق قاعدة واضحة تحظى بالاحترام من الجميع إلى اداة تستخدمها السلطة العامة للتنكيل بالمعارضين العقائديين او السياسيين على نحو يخضع للأهواء السياسية ونزواتها.

وقد توالت أحكام المحاكم التى تحذر من أن المنهج العقابى فى مواجهة حرية التعبير لن يؤثر فقط على الكتاب والمبدعين ويحد من حريتهم وإنما سوف يمتد إلى

المواطنين الذين لا يعملون بمهنة الكتابة أو الصحافة، أى أنها سوف تعتدى على حرية المجتمع ككل، فقالت المحكمة الدستورية العليا فى أحد أحكامها. أن من الخطر فرض قيود ترهق حرية التعبير بما يبعد المواطنين عن ممارستها ".

بل إن محكمة أمن الدولة العليا أصدرت حكما فى ١٤ مارس ١٩٩٠ يقول :

" وحيث أن المحكمة تنوه إلى أن حرية الرأى هى أهم حقوق الإنسان وأول حقوق المواطن ، لا ينبغى تأثيمها مهما كان ، ولا الحجر عليها بأى سبيل ، طالما لم يقترن باستعمال القوة أو يلتزم اللجوء العنف ، أو يتصل بالدعوة للإرهاب ٠٠ وأى قيد يوضع على حرية الرأى مهماكان وكيفما بدا لابد أن ينتهى إلى مصادرة الحريات جميعا حلقة بعد حلقة ، وحالة إثر حالة ، مما يؤدى إلى نظام ديكتاتورى بغيض تضيع فيه كل القيم ، وتمحى كل المبادئ وتتلاشى فكرة المواطنة ، ويتبدد مبدأ سيادة القانون " .

وكما يقول الدكتور " محمد نور فرحات " أستاذ ورئيس قسم فلسفة القانون بكلية الحقوق جامعة الزقازيق :

" فالظن عندى أنه لو كان جهاز الدولة جادا فى تطبيق النصوص السابقة لتوقفت الأقلام عن الكتابة ، وتوقفت جميع الألسن عن الحديث ، ولكان أصحابها فى زنازين السجون، فعبارات مثل الكراهية والإزدراء والتحبيذ والترويج ضد النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية ، وبغض الطوائف ، والإساءة إلى سمعة البلاد ، والعيب فى حق الملوك والرؤساء وممثلى الدول الأجنبية وإهانة المجالس النيابية، هذه العبارات التى تتسع لأى محتوى أو مضمون من شانها، لو طبقت بجدية، أن تغلق صحف مصر وأن يتحول أصحاب الرأى إلى فيالق المجرمين وأربات السوابق الجنائية "

ويعنى عدم تطبيق هذه العقوبات إدراكا واضحا من قبل الإدارة أنها عقوبات بالية وأن العالم قد تغير ، كما يعنى أن كفاح الحركة الديموقراطية والكتاب فى القلب منها قد أثمر هذا الهامش القائم من الحرية، لكنها مع ذلك تبقى سيفا مسلطا تلوح به السلطة وتستطيع استخدامه فى أى وقت ٠

ويشكل التهديد بالحبس ناهيك عن الحبس الفعلى رعبا حقيقيا للناس كافة ومنهم الكتاب ، فضلا عن أن الحبس يمكن أن يؤدى إلى تدمير عائلات فمن المعروف أن التعذيب قد أصبح شائعاً فى السجون المصرية التى تدهورت أحوالها ومات فيها من

مات بسبب التعذيب أو الإهمال .

ومع ذلك فقد امتدكفاح الصحفيين والكتاب المصريين منذ القرن التاسع عشر ضد كل أشكال العدوان على حرياتهم وحرية الوطن سواء فى مواجهة الإحتلال ، أو الاستبداد ملكيا كان أو جمهوريا ، وضد الإستغلال والفساد ومن أجل حرية الفكر والتعبير والتنظيم والحركة ، ودفعوا من حرياتهم وأرزاقهم ثمنا باهظا على إمتداد السنين، فسجن من سجن وقتل من قتل ومنع من منع من الكتابة والسفر ، وغادر البعض منهم طوعا أو قسرا إلى المنفى ٠

ودفع تطور الفكر نفسه ثمنا آخر حين تعطلت مناهج علمية جديدة كان أصحابها قد استخدموها فى ميدان البحث، وحين صودرت الكتب التى جرى إنجازها طبقا لهذه المناهج تعلمت الاجيال الجديدة درس القمع ، وتجنبت إستخدامها لاجئة إلى التقليد والتكرار واستخدام ما لا يثير حفيظة حراس القديم ٠ حدث ذلك بعد مصادرة " فى الشعر الجاهلى " لطه حسين ، ثم مصادرة " الإسلام وأصول الحكم " للشيخ على عبد الرازق ، وبعد قتل " فرج فودة " بسبب قراءته الجديدة لتاريخ الخلفاء الراشدين فى كتاب " الحقيقة الغائبة " ٠ وامتنع الروائيون منذ مصادرة رواية " نجيب محفوظ " " أولاد حارتنا " عن تناول تاريخ الخليقة فنيا . وتعرضت القراءة التاريخية الموضوعية التأويلية للنصوص الدينية والرسالات السماوية للإنقطاع بعد تطليق زوجة " نصر حامد ابو زيد " منه بدعوى الإرتداد وتطهير المكتبات من كتبه .

وبعد ان كنا قد قطعنا شوطا طويلا على طريق فصل الدين عن العلم باعتبارهما ميدانين مختلفين كلية اخذنانقرا على صفحات اكبر الصحف والمجلات بحوثا لإثبات وجود كل قوانين العلم فى الكتب المقدسة، كما إتسع نطاق ظاهرة أسلمة العلوم من الفيزياء إلى الرياضيات .

ولكن رب ضارة نافعة كمايقال، ففى ميدان الإبداع الفنى اخذ الكتاب يبحثون عن سبل لتوسيع رقعة الحرية فى مواجهة هذه المنظومة من القوانين والقيم والممارسات، فاخذوا يبتكرون الرموز، وينهلون من منبع الأساطير والحكايات الشعبية ، وبناء شخصيات

خرافية تشير من باب خفى لشخصيات سياسية تعيش بيننا ، وإن كان ذلك كله يحدث فى نطاق ضيق وفى ظل قمع الحريات العامة .

ولكن هذا النفع الضئيل لا يمكن أن يقارن حجماً وتأثيرا بالضرر الهائل الذى ألحقته أشكال الحصار بالإبداع الفنى والفكرى وبحياة الكاتب وخياراته .. ذلك أن القدر المتوفر من الحرية لا يكفى كاتبا واحدا حقا فى عصر يوصف بأنه عصر الحرية وحقوق الإنسان، وحيث تأتى البلدان العربية فى ذيل القائمة على صعيد العالم من حيث توفر الحريات فيها. وما يجرى قمعه ليس فى واقع الأمر حرية الكاتب وحده وإنما حرية المجتمع أيضا، والكاتب ليس مجرد فرد ينتمى إلى طبقة اجتماعية ويتحصل على تكوينه فى بيئة ثقافية محلية وعالمية معينة يتوفر على قدر من الحرية فيها طبقا للقانون والمناخ العام فحسب ، ولكن الجمهور الذى يتوجه له هو عنصر حماية أصيل لحريته أو عنصر تعطيل، وقال " محمود درويش " إن الجمهور فى داخلى فأنا أيضا جمهور. فإذا كانت الأمية تنتشر فى أوساط هذا الجمهور فإن ذلك ينتقص من حريته ، وإذا كانت قطاعات واسعة من الجمهور القارئ تتجه إلى اعتناق الأفكار التقليدية والمحافظة وتؤثر عليها الجماعات الدينية الرجعية على نطاق واسع فإنها تكبل حرية الكاتب وتزيد من القيود المفروضة عليه وتحاصر خياله وتحد من إنطلاق أفكاره وتشده شدا إلى ما هو قائم فلا يتجاوز حدوده الصارمة ، فنظل نراوح فى مكاننا إذا تقدمنا خطوة إلى الأمام على طريق الحداثة والديموقراطية والحرية سرعان ما تشدنا هذه القوى التقليدية الجبارة إلى الخلف ، و يتواصل الصراع من أجل حرية بلا ضفاف .

دراســة

فى ظل المادة الثانية من الدستور المصرى
المواطنة فى الأسر

القس / رفعت فكرى سعيد

راعى الكنيسة الإنجيلية بأرض شريف - شبرا مصر

خلفية تاريخية موجزة :-

خلت الوثائق الدستورية التى عرفتها مصر فى بداية إطلالها على التنظيم الدستورى من أى إشارة إلى دين الدولة أو إلى الشرائع الدينية كمصدر للتشريع، وهذا واضح فى لائحة تأسيس مجلس شورى النواب سنة ١٨٦٦ والأمر العالى للائحة مجلس النواب الصادر فى فبراير سنة ١٨٨٢ ،والقانون النظامى المصرى الصادر فى مايو ١٨٨٣،والقانون النظامى رقم ٢٩ لسنة ١٩١٣ المختص بالجمعية التشريعية المصرية والواقع يقول إن النص فى الدستور على أن الإسلام دين الدولة لم تعرفه الدساتير والوثائق القانونية فى مصر إلا مع صدور دستور١٩٢٣ .إذ نص فى المادة ١٤٩ منه على ان الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية، ثم تبنت الدساتير اللاحقة هذا النص فورد بعباراته فى المادة ١٣٨ من دستور ١٩٣٠ ،والمادة الثالثة من دستور١٩٥٦ وإن كان قد جرى إغفاله فى دستور الجمهورية العربية المتحدة المؤقت لعام ١٩٥٨ وفى الإعلان الدستورى الصادر فى سبتمبر ١٩٦٢ ،إلا أن النص عليه عاد مرة ثانية فى المادة الخامسة من دستور ١٩٦٤، ولكن دستور ١٩٧١ ،خطا خطوة أكثر إيغالا فى الربط بين

القانون والدين، لأن السادات عقب تسلمه السلطة بعد وفاة عبد الناصر، كان واضحا من مجمل سياساته أنه يتودد ويتقرب للجماعات الإسلامية التى أغتالته فى حادث المنصة الشهير فى أكتوبر من عام ١٩٨١،وإنه كان يبحث عن شرعية جديدة تميز نظامه عن نظام يوليو ١٩٥٢ ،وتمثلت هذه الشرعية فى إكساب الدولة طابعا دينيا فيما عرف وقتئذ بدولة العلم والإيمان وفيما لقب به الرئيس المؤمن، فلم تكتف المادة الثانية من الدستور بأن الإسلام دين الدولة كما كان الحال فى الدساتير السابقة بل اعتبرت الشريعة الإسلامية مصدرا رئيسيا للتشريع، وفى حقيقة الأمر كانت هذه أول مرة فى التاريخ القانونى المصرى الحديث يكتسب الربط بين النظام القانونى والشريعة طابعا دستوريا منذ العدول عن اعتبار فقه الشريعة هو النظام القانونى الحاكم والأخذ بنظام التقنيات الحديثة سنة ١٨٨٣ بعد أن ادخلت هذه المادة إلى الدستور المصرى لأول مرة فى دستور ١٩٧١ وعدلت فى ٢٢ /٥ / ١٩٨٠ لتصبح الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع بدلا من كونها مجرد مصدر رئيسى دون أداة التعريف وجرى مع هذا التعديل فى سلة واحدة تعديل آخر للمادة ٧٧ من الدستور بإطلاق مدد ولاية رئيس الجمهورية دون حد اقصى بإطلاق "المدد الرئاسية" لكى تكون بلا حدود، بعد أن كان حدّها الأقصى مدتين، أى ١٢ عاماً. وكأن الرئيس السادات قد قارب هذا الحد الأقصى (١١ عاماً). أى أن المادة الثانية بنصها الحالى هى بمثابة صفقة او رشوة تبادلية لتمرير مواد أخرى تخدم أغراض الحكام وليس مقاصد الشريعة.

وهكذا صوت المصريون وقتئذ بالموافقة على أن تكون الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع مثلما صوتوا بالموافقة على أن يكون رئيسهم رئيسا إلى الأبد. وهذا النص الدستورى يحتاج منا إلى إعادة قراءة بروح متأنية وبمزيد من التعقل لخير الأجيال المقبلة من أبناء هذا الوطن، فنحن، ومنذ القديم، دولة متعددة الديانات والمذاهب والأعراق، فالعرق اليافثى - نسبة إلى يافث إبن نوح - موجود منذ فجر التاريخ، منذ زمن الرومان واليونان تقريباً، وكذلك العرق السامى- نسبة إلى سام إبن نوح - الذى جاء مع القادمين من بلاد العرب وقت دخول الإسلام، ثم إن مصر تنتمى أساساً إلى "مصرايم" ابن حام ابن نوح ، وهكذا فأصل المصريين جميعاً يرجع إلى هذا العرق "الحامى".وأما من ناحية الديانات فإن الديانات الثلاث الرئيسية قد احتضنت بعضها بعضاً وتعانقت على أرض الكنانة، بعد أن افسحت الديانات الفرعونية القديمة

المكان لها، وظلت الثقافات المنبعثة عن هذه الديانات متألقة، حتى أننا اليوم نرى فى عادات المصريين ما هو فرعونى الأصل ومنها ما هو مسيحى، ومنها ما هو إسلامى الطبع، فقد عاشت الحضارة القبطية لما يزيد عن الف ومائتى عام، بعد دخول المسيحية، كحضارة مصر الرئيسية، ثم ما لبثت أن امتزجت مع حضارة الإسلام مع القرن السادس الميلادى حتى اليوم.وعن المذاهب، ففى المسيحية يوجد اليوم الإنجيليون (بمذاهبهم المتعددة) والكاثوليك والأرثوذكس. وسجل التاريخ وجوداً للإسلام الشيعى على أرض مصر فى عهد الدولة الفاطمية (التى أنشأت أصلاً الجامع الأزهر معقل الإسلام السنى اليوم)، ثم الإسلام السنى حتى اليوم.

وفى القطب السنى، لا غضاضة أن تكون حنبلياً أو مالكياً أو شافعياً أو حنيفياً، فكل من هذه المذاهب المتعددة يصب فى نفس الرافد، رافد الإسلام السنى.هذا معناه أن الساحة الوحيدة التى لا يمكن مراقبتها أو الحجر عليها هى ساحة الفكر والدين والضمير، فهى ساحة مطلقة السراح. وهل توحيد ساحة الفكر والدين - لو استطعنا إلى ذلك سبيلاً ــ هو الحل؟ لا بالمرة، فلا زال المؤرخون حتى اليوم لا يعرفون هل كان انضمام الإمبراطور قسطنطين للمسيحية وتوحيد الإمبراطورية كلها فى هذا الاتجاه. لعنة أم بركة؟! وحينما قرر الفرعون "أخناتون" توحيد العبادة المصرية وإغلاق كل معبد مخالف لمذهبه وتكفير كل الديانات المغايرة تمزقت إمبراطوريته فى حياته وانكمشت مصر داخل حدودها الإقليمية!! وحين انتهى زمن الاجتهاد بعد الخليفة العباسى "المتوكل" وسيطر الدين الواحد والقطب الواحد (الإسلام السنى) سجل التاريخ تراجعاً للحضارة العربية لصالح الأتراك والألبان وغيرهم، ودخلنا نفق التخلف المظلم خلال العصور الوسطى!! هذه الأمثلة هى غيض من فيض، ويمكن سوق مزيد من الأمثلة. إذن، التعدد بركة، ولا يجوز نصرة دين أو ثقافة بالقوة على دين آخر، فما بالكم بالأحرى حينما يكون ذلك دستورياً وقانونياً؟!!(١)

والدستور كما يقول جان جاك روسو هو تسجيل لعقد يحول رغبات الأمة إلى مبادئ محددة للعمل . لذا لا يصلح ابداً أن نفترض حسن نية المشرع وهو يضع المادة الثانية فى صدر الدستور المصرى، لماذا؟ لأن الدول ــ وهى تضع دساتيرها ــ قصدت أن تكون لغة الدساتير واضحة، قاطعة، جامعة، مانعة، لا تحتمل لبساً، أو غموضاً، ظاهرها كباطنها، لكون الدستور ــ فى الواقع ــ هو مجموعة من القواعد القانونية العامة

والمجردة التى يجب أن تنطبق على كل إنسان (لاحظ كلمة كل)، داخل الوطن الواحد، بصرف النظر عن أية اعتبارات أو عوامل أخرى، وعليه، فكل الدول "المتقدمة" نأت بنفسها عن هذا المنزلق الطائفى الخطير عند وضع دساتيرها، ولم تبق دساتير طائفية ــ تميز بين المواطنين على أساس عرق أو دين ــ إلا دساتير دول قليلة جداً، من المؤسف والمخجل أن تكون من بينها مصر !!

ويظن الكثيرون أن الحكم الدينى يعنى قيام رجال الدين بالحكم مباشرة، لكن التعريف الصحيح للدولة الدينية هو فى الواقع الذى يكون فيه الجهد الأساسى موجها نحو تطبيق قوانين إلهية. وبالتالى فهو يعنى اى نظام حكم يستند بصورة أو بأخرى إلى مرجعية دينية. ومن ثم فالدستور المصرى يؤسس لنظام حكم دينى ثيوقراطى. ومفهوم الدولة الحديثة ككيان سياسى اجتماعى يستند إلى الشعب مصدرا للسلطات يتنافى بصورة مبدأية مع شكل ومفهوم الدولة الدينية , فالدولة الحديثة لا تستلهم السلف الصالح على حساب الخلف الطالح . الدولة الحديثة تتعامل مع النسبى والواقعى وليس مع المطلق والغيبى . الدولة الحديثة عقلانية ولا تزعم إنها دولة الكمال لكنها دولة السعى المستمر نحو الأفضل (٢).

وعندما استخدم مصطلح (دين الدولة الرسمى) فى بعض الدول الأوروبية حتى عهود قريبة فهذا لم يكن يعنى أكثر من تنظيم إدارى بحت مثل أن يقوم جهاز الدولة بتحصيل تبرعات مع الضرائب من المواطنين الراغبين لصالح المؤسسة الدينية الرئيسية فى البلاد، مع ضمان حق باقى المواطنين فى دفع تبرعاتهم التى تتمتع بنفس المميزات الضريبية لمؤسسات دينية أخرى بحسب اختيارهم. ولم يكن المصطلح يعنى بأى شكل معاملة تفضيلية ولا أن تتأثر الدولة فى سياستها أو قوانينها بتوجهات تلك المؤسسة أو الدين الذى تتبعه (٣) فالتمتع بكافة الحقوق والحريات المدنية لا يتوقف على المعتقدات الدينية للفرد. وبدراسة الكثير من دساتير الدول المتقدمة لايمكن أن نجد دولة متقدمة تضع لنفسها مادة تقول "أن الدين الرسمى للدولة هو الدين المسيحى"، ومن ثم فإن تلك المادة لا تضيف إلى الدولة شيئا ، ولكنها على العكس تزيد من انعزالها وانعزال مواطنيها فى الداخل الذين لا ينتمون إلى ذلك الدين.

أسباب موضوعية تؤكد تنافى المادة الثانية مع المواطنة :-

١ - ليست الدولة شخصاً طبيعياً، بل هى شخص اعتبارى، والشخص الاعتبارى كائن معنوى لادين له فهى لا تصلى ولا تصوم ولاتحج ولاتدفع الزكاة، لذلك فالقول بأن للدولة ديناً رسمياً هو قول غريب وغير مفهوم. فالدولة مهمتها الوحيدة (ينبغى أن تكون) تنفيذ عقد اجتماعى وسياسى مع مواطنيها هنا على الأرض، وليس محاولة إدخالهم إلى جنة النعيم فى العالم الآخر، فليس من مهام الدولة إدخال الناس للجنة. إن الدين والشريعة كما يقول المستشار محمد سعيد العشماوى معنيان بالإنسان لا بالنظم , بالضمير أكثر من القواعد القانونية. كما أنه بالنص على وجود دين للدولة "يصبح هناك دين مميز للدولة وبالتالى ينقسم المواطنون إلى فريقين أولهما يتبع ذلك الدين وبالتالى فهو صاحب الحقوق والامتيازات والثانى من أتباع الديانات الأخرى ينتظر المنح والهبات، مما يكرس مفهوم "الذمية" دستوريا ويجعل الدولة مدافعا وحاميا للدين لا للوطن". والنتيجة هى "مجموعة من القوانين والقرارات والأعراف المذلة والمنقوصة لحقوق من لايدينون بدين الدولة ." ومن هنا فإن نص المادة الثانية بوضعه الحالى يثير اللبس ويرتب نتائج قانونية غير متفق عليها .

٢ - تتناقض المادة الثانية مع إدعاء أن "مصر دولة مؤسسات ديمقراطية"، فأسس المبدأ الديموقراطى هو المساواة الكاملة بين المواطنين، فما بالنا بحق المواطنة الذى ينفيه الدستور المصرى عن بعض المواطنين لأنهم خارجون عن الدين الرسمى للدولة؟!! فهذه المادة تعلن بوضوح أن الدولة تمارس حمايتها ورعايتها لدين قسم من رعاياها وتخلع مظلة الحماية عن الآخر. فالقارئ للمادة الثانية حتماً سيفهم أن فى البلد أدياناً أخرى غير الإسلام، يدين بها مواطنون غير مسلمين. ثم لا بد أن يستنتج أن الدولة لا تعترف بأديان أخرى لأبنائها، لأنها لا تعتبرها رسمية .وماحدث مؤخرا يؤكد هذا، فقد استندت المحكمة الإدارية العليا إلى المادة الثانية فى حكمها بإلغاء حكم القضاء الإدارى بأحقية البهائيين فى إثبات ديانتهم بالأوراق الرسمية، حيث قالت المحكمة فى حيثيات الحكم: إن الاعتراف بالبهائية كديانة مثبتة بالأوراق الرسمية يخالف ما استقرت عليه الآراء الفقهية والفتاوى الصادرة من جهات الاختصاص، كما يعد خروجاً على أحكام الدستور، مما قد يؤثر على المجتمع وأفراده من جراء عمليات التبشير التى تستهدف النيل من الدين الإسلامى. وأضافت الحيثيات ،أنه طبقاً لما نص عليه الدستور وانتهت إليه مواده، فإن الأديان المسموح بإقامة شعائرها فى مصر هى

الأديان السماوية الثلاثة ،الإسلام والمسيحية واليهودية،.واضح من هذا الحكم أن الدولة تنفى بعضاً من مواطنيها، ليس بسبب تقصيرهم فى واجبات المواطنة، وإنما بسبب عقيدتهم !! إذاً الدستور يفرق ويميز رسمياً بين ابناء الوطن الواحد، ويصنفهم درجات فى المواطنة حسب الدين، وليس حسب ولائهم للوطن أو جذورهم الوطنية.

إن إعلان الدولة بأن الدين الرسمى هو الإسلام يشكل انتهاكا وتمييزا وتحقيرا للديانات الأخرى وبصفة خاصة للمسيحيين، مما يؤدى إلى إعاقة تمتعهم وهم أبناء شعب مصر بأى حق من الحقوق المنصوص عليها فى الوثيقة الدولية بالحقوق المدنية والسياسية بما فى ذلك المادة ١٨ الخاصة بحرية الديانة والمادة ٢٧ الخاصة بحقوق الأقليات الدينية. والحرية الدينية جزء لا ينفصل عن حرية الرأى والتعبير، وطبعا يرتبط بهما حرية أداء الشعائر الدينية، وهى حرية مكبلة بالقيود على الرغم من ادعاءات المساواة، فلا تبنى كنيسة جديدة إلا بقرارات صعبة ومعقدة . ولا تجرى فيها إصلاحات إلا بقرارات إدارية وبيروقراطية أكثر صعوبة. والأخطر من هذا كله أن الحرمان من المواطنة الكاملة يبيح ولو بشكل مستتر تعرض أصحاب الأديان الأخرى للعدوان على أرواحهم وممتلكاتهم. وهذا ما حدث ولا زال يحدث. !!

إن الدستور هو أبو القوانين وأن الدولة المدنية تعنى ببساطة فصل السلطتين الدينية والسياسية مع ضمان احترام المعتقدات الدينية والهويات الثقافية والروحية للشعوب والمجتمعات. انها تعنى أن الدولة هى دولة قانون واحد يطبق على جميع المواطنين سواسية حقوقاً وواجبات بغض النظر عن الدين. انها "دولة المواطنة" لا دولة مواطنين من درجات (سنى -شيعى - بهائى - قاديانى -شيوعى - ذمى - كافر).

أما عن مبدأ ،لهم مالنا وعليهم ماعلينا، الذى يراد به الإيحاء بنوع من المساواة بين المسلمين وغير المسلمين فهو يحتاج إلى تفسير واضح فى ضوء بعض الأمور مثل دفع الجزية وإنه لاتقبل شهادة غير المسلم ضد المسلم , ولا يقتل مسلم بكافر , لايرث غير المسلم فى المسلم , وبينما يصرح بزواج المسلم من الكتابية فالعكس -أى زواج الكتابى من المسلمة - محرم برغم عدم وجود نص قرآنى صريح يحرم هذا الأمر، وذلك لأن الفقهاء استندوا ببساطة إلى مبداين فى آن واحد وهما: لا مساواة بين المسلم وغير المسلم الذى يستند بدوره إلى مبدأ الاسلام يعلو ولا يعلى عليه ومبدأ الرجال قوامون على النساء . ومن هنا فالارتكان إلى ،مبدأ لهم مالنا وعليهم ما علينا، لايؤكد من قريب أو بعيد على المساواة التى ينبغى أن يكون النص الدستورى حولها قاطعا وحاسما ,

وبدون التواء . فنص المادة الثانية بصورته الحالية فى حد ذاته هو تمييز للمسلمين عن اتباع الديانات الأخرى أو اللادينيين. وسيكون حجة لتيارات سياسية لتفرض رؤيتها ومصالحها وتقيم دولة دينية يكون رأيها فى كل امور الوطن هو رأى السماء الذى لا يقبل النقاش والقبول والرفض.

٣- وجود المادة الثانية فى الدستور بهذا الشكل ينسف الأساس الذى تقوم عليه أى نصوص أخرى مذكورة فى نفس الدستور أو فى القوانين حول المساواة فى حقوق المواطنة أو حول الحريات الأساسية وضماناته، إذ لا يمكن أن تفسر هذه المواد إلا فى ضوء تلك المادة. وبقاء هذه المادة على ما هى عليه منذ عام ١٩٨٠، سيكون متناقضا مع حقوق المواطنة ومع المادة ٤٠ التى تنص على: (المواطنون لدى القانون سواء، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أوالدين أو العقيدة) ،ومثل هذا التناقض هو شأن معيب يهز القيمة العليا لدستور البلاد وينتقص منه. "ان النص الرسمى على دين الدولة ليس موجوداً فى أى دولة مدنية متقدمة فى العالم أجمع". قد يكون هناك نص أن الدولة تحترم جميع الأديان ولكن دون النص على دين رسمى لها. لأن من واجبات الدولة أن تحمى حقوق المواطنين -كافة المواطنين- بصرف النظر عن دين هؤلاء المواطنين أو جنسهم أو لونهم أو معتقداتهم. وان اقرت لها ديناً رسمياً فمعنى هذا انها تنحاز إلى فئة دون أن تدرى مهما حاولت بعد ذلك أن تضع بنودا فى الدستور تؤكد على مساواة المواطنين مثل المادتين ٤٠ و ٤٦ من الدستور المصرى، لأن المادة الثانية من الدستور قد نسخت "ألغت" تماما هاتين المادتين اللتين تنصان على مساواة المواطنين أمام القانون وحرية المعتقد. لا يصح أن تقول أى دولة أنها "مدنية" وفى نفس الوقت تقول إنها دولة لها دين رسمى.

٤- إن كانت المقترحات المعروضة على مجلس الشعب تؤكد حظر تأسيس أحزاب سياسية على أساس دينى، إلا أن المشكلة تتركز فى أن المادة الثانية من الدستور ربما تتسبب فى وجود حزب سياسى دينى، وهذا ليس بغريب فى ظل قانون الأحزاب السياسية الذى يشترط قيام الأحزاب على مرجعية إسلامية والإيمان بما نص عليه الدستور. فهذه المادة تمهد لقيام الدولة الدينية التى تحلم بها جماعة الإخوان المسلمين المحظورة وتقوى من نفوذهم وهم يعدون انفسهم للوصول إلى السلطة والحكم، ولنفترض أن "الإخوان المسلمين" قد قرروا التقدم بطلب لقيام حزب لهم. ولن

يذكروا فى برنامج حزبهم أكثر من أن يكون هدفه الرئيسى "تفعيل المادة الثانية من الدستور وإقامة حكم يستند تماما إلى شرع الله". ماذا سيكون رأى لجنة الأحزاب والمحاكم الإدارية والدستورية التى ستفصل فى مثل هذا الطلب بناء على الفقرة المقترحة بحظر تأسيس أحزاب سياسية على أساس دينى ؟ كيف يستقيم حظر إنشاء أحزاب سياسية على أساس دينى مع المادة الثانية التى تحدد موقع الدين من الدولة من خلال النص على أن الإسلام دين الدولة، ومبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع؟ إذا سعى الإخوان أو أى جماعة إسلامية أخرى إلى إنشاء حزب سياسى يقوم على تفعيل هذا النص الدستورى، فهل يُعد ذلك غير دستورى؟ النظرة القانونية الظاهرية تقول إن هذا الحزب سيكون أكثر الأحزاب اتساقاً وتماشياً مع الدستور!!.

الخلاصة هى إن الفقرة المقترحة، فى السياق الدستورى الحالى، ستؤدى عمليا إلى استحالة قيام "حزب مسيحى"ولكنها لن تمنع قيام "حزب إخوانى"!! ولهذا يبدو التعديل المقترح على المادة الخامسة بحظر الأحزاب الدينية لا معنى له سوى حظر الأحزاب الدينية غير الإسلامية بالذات. بل يمكن القول إنه فى ظل وجود المادة الثانية من الدستور تكون الأحزاب الدينية الإسلامية هى الأحزاب الأكثر مشروعية واتساقا ليس مع الدستور فقط ولكن مع الممارسا السائدة فى الدولة ومع التوظيف السياسى الحكومى المتنامى للدين وللمؤسسة الدينية الرسمية فيها(٤).

٥-إن هذه المادة وهى تنص على أن (الإسلام هو الدين الرسمى للدولة) لم تحدد لنا أى إسلام تقصد،-فليس هناك إسلام واحد معلوم للجميع - هل هو الإسلام كما مارسته طالبان، أم هو الإسلام الوهابى المتشدد ؟ أم هو إسلام الإرهابيين الذين يجهّلون المجتمع ويكفّرون غيرهم من المسلمين؟. إن كلا من هؤلاء ادعى إنه وحده الفرقة الناجية من النار وإنه وحده يمتلك الحقيقة الإسلامية الكاملة!!. وبالطبع المادة الثانية تستبعد عن الإسلام المذاهب غير السنية مثل الشيعة الاثنا عشرية، والقاديانية، رغم اعتقاد هؤلاء أنهم على إسلام سليم، فهم يؤمنون بالقرآن والسنة ويجاهرون بالشهادتين وهما المدخل المعترف به للإسلام.

٦- إقحام الدين فى السياسة هو خلط يسئ لكليهما إذ يسعى لمد غطاء التقديس على ما هو غير مقدس ظنا أو ادعاء بأن فى ذلك تنفيذا لإرادة الإله وإعلاء لشرعه. والاعتراض على قوانين أو ممارسات ذات مرجعية دينية سرعان ما تجرى إدانته وحظره

باعتباره تعدياً على الدين نفسه، ثم الدخول فى دوامة الكفر والالحاد التى تؤدى بالمجتمع كله إلى هاوية سحيقة لابد أن تنتهى إلى أعمال العنف والإرهاب، بينما الأصل إنه لاتوجد قداسة فى السياسة ونظم الحكم .

٧- نص المادة الثانية يتحدث عن الشريعة بينما هو فى الحقيقة يتعلق بالفقه، يقول المستشار العشماوى (إن لفظ الشريعة لايعنى فى القرآن الكريم ولا فى قواميس اللغة العربية القواعد القانونية وإنما معناه المنهج , السبيل , الطريق , ماشابه. ويضيف إنه قد حدث للفظ الشريعة فى الفكر الإسلامى تعديل عدة مرات من المعنى الأصلى ثم اتسع ليشمل القواعد القانونية التشريعية الواردة فى القرآن، ثم امتد ليضم أيضا القواعد المماثلة فى الأحاديث النبوية، ثم تغير المعنى ليشمل الشروح والتفسيرات والاجتهادات والآراء والفتاوى والأحكام التى صدرت لأيضاح هذه القواعد أوالقياس عليها أو الاستنتاج منها أو تطبيقها ,أى الفقه. وأوضح ,أن كاتبى تقرير اللجنة الخاصة حول التعديل الدستورى فى مايو ٨٠ خلطوا الأمور وأصبحوا يتحدثون عن الفقه باعتباره الشريعة ، إذن فالأمر يتعلق بفقه وضعه اناس معرضون للخطأ والسهو والنسيان عاشوا فى القرنين الثانى والثالث الهجريى، وكانوا يعكسون أحوال مجتمعاتهم السياسية والاجتماعية والفكرية فى فهمهم وإسقاطاتهم للنصوص الدينية، وبالتالى فليس هناك سبب لتقديس ما انتهى الفقهاء إليه فى مدارسهم المختلفة . والمبدأ طبقا لتعريف القاموس هو تعميم أولى يقبل على إنه حقيقى ويمكن استخدامه كقاعدة للتفكير أو التصرف , قاعدة أو معيار يشكل أساسا لشئ آخر، إطار عام موجه على مستوى عام وقابل للتطبيق بصورة عامة. فياترى ماهى مبادئ الفقه الإسلامى التى لها صفة العمومية والتى هى معروفة للكافة وهناك إجماع شامل حولها ؟ الحقيقة هى اننا لا نعلم بالضبط وعلى وجه التحديد!! وكم نتمنى أن يتكرم أهل العلم بعمل قائمة من المبادئ المحددة بوضوح جازم يسمح لها بأن تكون صالحة للاستعمال فى المقارنة والمقابلة مع غيرها من المبادئ عند محاولة كتابة نص خطير يتعلق بمصادر التشريع فى دستور عصرى حديث (٥) .

ويقول الدكتور إبراهيم شحاته فى كتابه وصيتى لبلادى (فى حين اننا جميعا نعلم أن أكثر التشريعات الجديدة تعالج مسائل معقدة تتعلق بالاستثمار والبنوك والتجارة والبيئة والأمن والانتخابات والتأمينات الاجتماعية وغيرها من المسائل التى تواجه أى دولة حديثة والتى تخاطبها مبادئ الشريعة كما فسرت حتى الآن من حيث عموميتها

فقط وليس من حيث التفاصيل التى ينبغى ابتداعها لتناسب الظروف الحالية فهل من الواقعى أن نقول إن مبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر (الرئيسى) للتشريع ؟ وهو مالاينطبق حتى على تشريعات الدول التى تتسم دساتيرها بطابع إسلامى واضح ؟ إن معظم القوانين الحديثة فى دول مثل إيران والمملكة العربية السعودية مثلها مثل القوانين الحديثة فى الدول الأخرى جميعا لا تستمد مصدرها من الكتاب والسنة مباشرة بقدر ماتستند إلى الدراسات الخاصة بمواجهة المشاكل العملية الجديدة والسياسات التى اتبعت فى الدول المختلفة , والقول بغير ذلك هو قول سياسى قد يرضى الجماهير ولكنه لايعبر عن الواقع، ويدفعنا هذا إلى الاعتقاد بأن النص كما جاء فى الدستور المصرى كان مزايدة سياسية أكثر منه تقديرا لما يمكن أن يحدث فى الواقع مهما خلصت النوايا. وقد كان النص يخدم الغرض منه بصورة أوضح لو انه طالب المشرع بأن يستلهم فى التشريعات التى يصدرها مبادئ الشريعة وقيمها العليا , أو حتى إن ذهب إلى أبعد من ذلك وطالب بأن لايخالف التشريع مبادئ الشريعة وقيمها العليا دون التزيد بما لايمكن أن يحدث عمليا)(٦).

وبرغم أن النص يستخدم تعبير (المصدر الرئيسى) اى أن هناك مصادر أخرى غير رئيسية فإن النص لا يشير إلى اية مصادر أخرى مثلما تنص دول إسلامية - بل تحكمها أحزاب دينية - فى دساتيرها، مما يرجح أن المشرع (مجلس الشعب) قصد أن يقول إن الشريعة الإسلامية هى المصدر الوحيد للتشريع وليس الرئيسى. ويؤكد هذا الاستنتاج الرجوع إلى تقرير اللجنة الخاصة بالإعداد لتعديل الدستور (عام ١٩٧٩) فى تقريرها إلى مجلس الشعب بخصوص تعديل المادة الثانية الذى صارت بمقتضاه مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع (بدلا من أن تكون أحد مصادره) وذلك فى مايو ١٩٨٠ .تقول اللجنة وتقريرها أو تفسيرها: إن المقصود بالنص على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى هو ان (**تلزم المشرع بالإلتجاء إلى أحكام الشريعة الإسلامية للبحث عن بغيته فيها مع إلزامه بعدم الالتجاء إلى غيرها (أرجو وضع عشرة خطوط تحت كلمة غيرها) فإذا لم يجد فى الشريعة الإسلامية حكما / جوابا صريحا فإن وسائل استنباط الأحكام من مصادر الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية تمكن المشرع من التوصل إلى الأحكام اللازمة والتى لاتخالف الأصول والمبادئ العامة للشريعة** اى إنه لا مجال للحديث عن اى مصدر آخر خلافا للشريعة الإسلامية حتى لو لم تكن تملك جوابا صريحا، بل يجب الاجتهاد



داخل أحكام الشريعة ذاتها وليس التوجه إلى الأديان الأخرى فى المجتمع كالمسيحية أو الأعراف والتقاليد والثقافات السائدة فى المجتمع مثلما تفعل دساتير أخرى بما فى ذلك دستور السودان الإسلامى(٧) .

وقال الإمام الجزائرى الفقيه محمد بن الفضيل: إذا أردت أن تتهرب من أحكام الزكاة...... كن شافعياً؛ إذا أردت أن تخرج عن أحكام الربا........كن مالكيا؛ إذا أردت أن تخرج عن أحكام الخمر.......كن حنيفيا؛ إذا أردت أن تخرج عن أحكام الزواج......كن شيعيا؛ "وبذلك تخرج من الشريعة بالشريعة"..

٨- وقعت مصر على المواثيق والقوانين الدولية لحقوق الإنسان ومن ثم فهذه المواثيق صار لها قوة القانون المصرى وفقا للمادة (١٥١) من دستور جمهورية مصر العربية التى تقول (رئيس الجمهورية يبرم المعاهدات، ويبلغها مجلس الشعب مشفوعة بما يناسب من البيان. وتكون لها قوة القانون بعد ابرامها والتصديق عليها ونشرها وفقا للأوضاع المقررة).والمادة الثانية من الدستور تتعارض مع بعض المواد فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، وعلى سبيل المثال المادة ٦، والتى تنص على أن لكل إنسان أينما وجد الحق فى أن يعترف بشخصيته القانونية، والمادة ٧ التى تنص على أن كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق فى التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة، كما أن لهم جميعاً الحق فى حماية متساوية ضد أى تمييز يخل بهذا الإعلان وضد أى تحريض على تمييز كهذا، وأيضاً المادة ١٨ التى تنص على أن لكل شخص الحق فى حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سراً أم مع الجماعة،كذلك المادة ١٩ والتى تنص على أن لكل شخص الحق فى حرية الرأى والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أى تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية.

وكذلك تتعارض المادة الثانية مع الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية والسياسية وكذلك المادة الثانية من القرار رقم ١٣٥/٤٧ بشأن اعلان حقوق الاشخاص المنتمين الى أقليات دينية الصادرة فى ديسمبر ١٩٩٢ من الجمعية العامة للأمم المتحدة وجدير بالذكر ان لجنة حقوق الإنسان للأمم المتحدة، فى ردها على تقرير مصر عام ٢٠٠٢ بعنوان (دواعى القلق الرئيسية) سجلت اللجنة ملاحظة بشأن إعلان مصر بالتحفظ

استنادا إلى الشريعة الإسلامية عند التصديق على العهد الدولى بـ
(الطابع العام والملتبس وأيضا التحفظ المتعلق بالشريعة الإسلامية على بعض مواد الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة، وبينما مصر ترى أن الشريعة الإسلامية والمادة الثانية من الدستور تتوافق مع احكام ونصوص المواثيق الدولية، إلا أن لجنة حقوق الإنسان تأسف (لانعدام الوضوح الذى يغلف مسألة القيمة القانونية المعطاة للعهد مقارنة بالقانون الداخلى والآثار المترتبة على ذلك .)
مما دعا لجنة حقوق الإنسان إلى مطالبة مصر بأن (تحدد مدى إعلانها بشأن الشريعة الإسلامية أو تسحبه)
٩-إن هذه المادة تتناقض مع الديموقراطية، فالديموقراطية - فى أبسط معانيها - هى حكم الشعب بالشعب، فالبشر هم الذين يشرعون لأنفسهم حسب ظروف الزمان والمكان، ولا يتلقون شرائع سماوية جاهزة لتطبيقها على واقع زمن يختلف عن زمن نزول أو سن الشرائع الدينية ولتطبيقها على ظروف مختلفة طبقاً لمصالحها. وهكذا تسعى الديمقراطية إلى فصل الدين - أى دين، عن نظام المجتمع السياسى، حتى يبقى هذا النظام ميداناً بشرياً بحتاً، تتصارع فيه البرامج السياسية والاقتصادية دون أن يكون لطائفة منهم الحق فى الزعم بأنها تمثل وجهة نظر الله، وبذلك تترفع بالدين وتتنزه عن تشغيله انتهازياً لخداع البسطاء من الناس، وتحرر نصوص الدين من الأفاقين والمتاجرين به لأجل مصالحهم الخاصة. فوجود مرجعية دينية فى الدستور يحجر على دعاة الدولة المدنية الحداثية حرية التعبير ويترك الساحة مفتوحة ومقصورة على دعاة الدولة الدينية، بينما العكس ممكن ففى الدولة المدنية يمكن لدعاة أية أيديولوجية أن يعملوا بكامل حريتهم، ويكفى هنا أن نذكر بأن قانون تنظيم الأحزاب السياسية ينص فى مادته الرابعة المعدلة فى يونيو ٢٠٠٥ على أنه يشترط لتأسيس أو استمرار أى حزب سياسى عدم تعارض مقومات الحزب ومبادئه أوأهدافه أو أساليبه فى ممارسة نشاطه مع مبادئ الشريعة الإسلامية باعتبارها المصدر الرئيسى للتشريع .ومن هنا فلاديمقراطية حقيقية فى ظل وجود المادة الثانية من الدستور المصرى !!.
١٠ - إن هذه المادة تفعل عند اللزوم، وتستخدم ــ تمييزياً ــ لأجل المصالح الخاصة عند حدوث أى لون من الوان الصراع الفكرى أو الاختلاف فى الرأى والقول، أو عند أى شكل من أشكال الحراك الاجتماعى. ففى مجال الدين يمكننا أن نجد الحجة

ونقيضها فى آن واحد، إذ أن النص الدينى حمال أوجه ونصوص الدين لا تنطق بذاتها، بل تحتاج إلى من يفهمها ويطبقها من البشر، وهنا لا بد ان يظهر الخلاف، وهو أمر طبيعى ومفهوم. ولكن عندما نحول الدين إلى قاعدة دستورية ــ تُطبق على الجميع رغم الاختلاف الحادث ــ فإن الاختلاف يصبح جريمة تستحق العقوبة، وهو ما يعنى تكميم الأفواه، وإخراس الألسن، وإخماد صوت العقل، ووأد الرأى الآخر، وبسط القهر على الضمير، فيتحول الأمر من منطق الحق إلى منطق القوة، لتصبح القوة حقاً مطلقاً لأنها القادرة على فرض الأمر الواقع والتنفيذ الجبرى.فوجود مرجعية دينية فى الدستور يعنى بالضرورة قيام رجال الدين وفقهائه وادعيائه بتفسير النصوص الدينية والقيام بدور الرقيب على الدولة ومؤسساتها التشريعية والتنفيذية وانتحال حق التفسير والتفقه. فاستنادا لهذا النص تستطيع المؤسسة الدينية الإسلامية سواء تمثلت فى دار الإفتاء أو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ويستطيع من يطلق عليهم رجال الدين أو الذين أدمنوا الإفتاء فى الفضائيات، ان يفرضوا وصاية على الفكر والرأى والقوانين وأن يصادروا الكتب ويخرجوا من يشاءون من حظيرة الإيمان . ونذكر أن مرشد الإخوان السابق عندما سئل عن ولاية غير المسلم على مسلم قال إن هذا الأمر سيبحثه فى الوقت المناسب أهل الحل والعقد . من هم ؟ ما هى سلطاتهم ؟ من يعينهم ؟ من يحاسبهم ؟ ماذا لو اتفقوا على فرض أمور تتناقض مع معايير حقوق الإنسان العالمية الحديثة ؟ هذا فضلا عن أن كل تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا المتعلقة بأى مقال أو كتاب أو رأى، يتم فيها استخدام هذه المادة بالاضافة إلى التلويح بها فى كل الأزمات المتلاحقة من قبيل تصريحات فاروق حسنى ومنع الخمور وغيرها. فمبادىء الشريعة يمكن أن توظف بمعرفة من شاء فيما يشاء وقت أن يشاء !!

١١–وجود هذه المادة فى الدستور يفتح الباب أمام المزايدات، فأثناء الانتخابات البرلمانية الأخيرة قال مرشد الإخوان بأن هدفهم هو تفعيل الدستور الذى ينص على الشريعة لا اكثر ولا اقل . ويرى نائب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين محمد حبيب، أن المادة الثانية من الدستور المصرى "خط أحمر لا يجوز الاقتراب منه، كما يفجر الاقتراب منه حربا أهلية فى مصر". وهذا التهديد العلنى بالمذابح وحمامات الدم يبين بوضوح إلى أى مدى يمكن أن يصل إليه دعاة الدولة الدينية من تهديد وعنف .

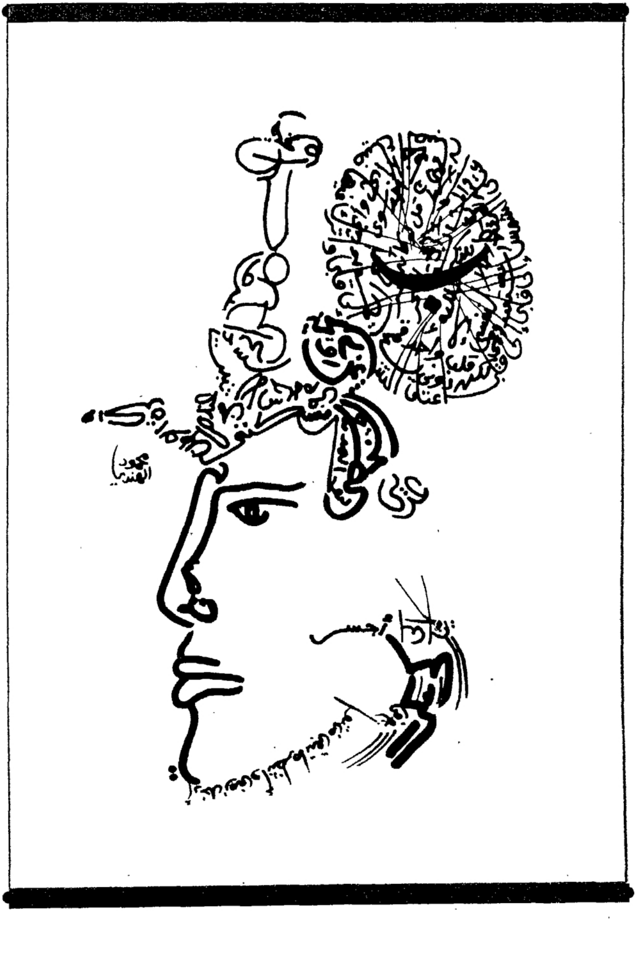
١٢–تسببت المادة الثانية فى صدور بعض الأحكام التى تتنافى مع المواطنة، فعلى

سبيل المثال قضت محكمة القضاء الإدارى المصرى فى القضية رقم ٣٥٧٢١ لسنة ٩٥ قضائية بإلغاء قرار لوزير الداخلية بتغيير خانة الديانة فى البطاقة الشخصية لمن يشهر إسلامه بعد أن يقوم بتوثيق ذلك فى الشهر العقارى، وقد جاء الحكم استنادا إلى المادة الثانية وخاصة أن الإسلام لا يتطلب سوى النطق بالشهادتين . ويغض النظر عن كون القرارات المشار إليها تتحدث فقط عن إشهار الإسلام وليس تغيير الدين بصفة عامة فإنه فى ضوء الحكم المذكور يكفى أن يتطوع اثنان بسماعهما احد الأفراد ينطق بالشهادتين لكى يصبح ذلك الشخص مسلما سواء رغب فى ذلك أو لم يرغب ويكل ما يتبعه هذا التحول من تبعات.(٨)

واستنادا للمادة الثانية عند مناقشة تعديل مشروع قانون العلاقة بين المالك والمستأجر فى الأرض عام ١٩٩٢ بهدف إعطاء المالك الحق فى فسخ عقد الإيجار وطرد المستأجر من الأرض حتى لو كان المستأجر ملتزما بجميع بنود العقد ويسدد الإيجار المنصوص عليه والزيادة المقررة دوريا فى مواعيدها. فقد لجأت الحكومة لتمرير تعديلها إلى طلب فتوى تجيز الفسخ والطرد، ووفر لها مفتى الديار المصرية هذه الفتوى. واعترض وقتها خالد محيى الدين على إقحام الدين فى قضية سياسية اجتماعية، وفرض رقابة ممن يسمونهم رجال الدين على حق مجلس الشعب فى التشريع، خاصة أن هناك تفسيرات وتأويلات مختلفة للنصوص الدينية، وأحكام الشريعة قابلة للتطور والتغيير على ضوء الاجتهادات المختلفة وتطور الواقع والفكر الإنسانى(٩) كما استخدمت نفس المادة فى الحكم بالتفريق بين المفكر الإسلامى نصر حامد أبو زيد وزوجته رغم انفهما لمجرد انه تطوع بالاجتهاد فى مسائل من نوع أن للمرأة الحق الشرعى فى الحصول على نصيب من الميراث مساو للرجل.

وكذلك قضت الدائرة الأولى بمحكمة القضاء الإدارى بتاريخ ٢٠٠٥/١١/٨ برفض الدعوى القضائية رقم ٣٢٥٣ ضد رفع شعار الإسلام هو الحل أثناء الحملة الانتخابية لمجلس الشعب، وجاء فى حيثيات الحكم إن هذا الشعار لايدعو إلى إثارة الفتنة الطائفية، فالمادة الثانية من الدستور تنص على أن دين الدولة هو الإسلام ومبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع . هذا على الرغم من القول بأن المادة الثانية موجهة للمشرع وليس للقاضى !!!

كذلك توجد أحكام قضائية عند تغيير الدين، والقاعدة هى أنه يمكن للمسيحى أو من ينتمى لأى معتقد أن يتحول للإسلام ولكن لا يمكن للمسلم أن يتحول للمسيحية



(أو لأى دين آخر). ورغم عدم وجود نص قانونى يجرم تحول المسلم إلى دين آخر فإن التهمة تكون ازدراء الأديان. وقد الغيت وصاية أب مسيحى على ولديه عندما أسلمت الأم لأنه حسب قول محكمة الإسكندرية الابتدائية (القضية ٤٦٢ لسنة ١٩٥٨) أنه "يتعين أن يتبع الأولاد الدين الأصلح، والإسلام هو أصلح الأديان".

وقضية رافت نجيب صليب الذى كان قد أشهر إسلامه فى عام ١٩٩٨ ثم عاد للمسيحية بموجب إقرار صادر من بطريركية الأقباط الأرثوذكس مصدق عليه من مديرية الأمن، ولكن مصلحة الأحوال المدنية رفضت استخراج بطاقة الرقم القومى له بالبيانات المسيحية، وحين لجأ للقضاء الإدارى قضت المحكمة برفض الدعوى شكلا وموضوعا، واستند الحكم فى حيثياته على المادة الثانية فى الدستور وجاء به " .. **إن النصوص التى تنص على حرية العقيدة ومساواة المواطنين يجب أن تفسر فى حدود ما يسمح به الإسلام باعتباره دين الدولة الرئيسى وأساس قيامها"، وتواصل المحكمة سرد حيثياتها فتقول "..فالدولة تخضع لأحكام وقواعد الدين الإسلامى ويتعين على كل أفراد الدولة مسلمون ومسيحيون الالتزام بهذه القواعد والخضوع لها ...الخ".**

قضية أمير شوقى عبد السيد الذى ولد وعاش مسيحيا، ولكن مصلحة الأحوال المدنية رفضت استخراج بطاقة الرقم القومى ببيانات مسيحية لأن والد الطالب كان قد أشهر إسلامه حين كان عمره عامين، وبالتالى يكون الطالب مسلما بالتبعية، وحين لجأ للقضاء الإدارى قضت المحكمة أنه مسلم واستندت إلى فتوى صادرة من دار الإفتاء يقول نصها: "**الولد يتبع أحد أبويه فى الإسلام باعتباره خير الديانات ...**".

ومن الملاحظ إنه فى حال ذكر الحريات الدينية فى دساتير العالم العربى فهى فى معظم الحالات تعنى حرية العبادة أو حرية ممارسة الشعائر وغالبا ماتكون محددة بعبارة طبقا للقانون وليس حرية الاعتقاد التى تعنى حرية التغيير أو حرية عدم الاعتقاد.

وعندما نتحدث عن حرية الدعوة الدينية فمن المعروف إنه يحظر على المسيحيين الدعاية لدينهم باعتباره تبشيرا، كما يعاقب من يتحول إلى المسيحية بالسجن بتهمة ازدراء الدين الإسلامى !! هذا فضلا عن عدم وجود تشريع يجرم التمييز الدينى، وهو أمر وإن كان يشترك مع أنواع التمييز الأخرى كالتمييز ضد المراة، إلا أنه أخطر على النسيج الوطنى من بقية أنواع التمييز.

وختاما ..

إننا عندما ندرس دساتير العالم من حولنا نخلص إلى أنه لا توجد فى عالم اليوم دولة متقدمة ومتحضرة وراقية يستند دستورها إلى شريعة دينية أيا كانت، لأنه فى كافة الدول الديمقراطية الحقيقية ومنذ أكثر من قرن ونصف لم يعد هناك ذكر للدين فى دساتير الدول، إذ لا يمكن اعتبار الدين مقياساً للولاء والإخلاص والمواطنة الحقيقية، وبالتالى يكون وضع مصر مع بقاء هذه المادة شاذاً لا يقابل باحترام فى الدول الديمقراطية الأوربية والإسلامية منها التى تخلو دساتيرها من هذه المادة.

والبديل للدولة الدينية ليس الدولة المعادية للدين مثل النظم الشيوعية بل الدولة المدنية أى الدولة الحديثة التى تحفظ للدين مكانه فى القلوب إيماناً وتعبداً وفى الضمائر والأخلاقيات عملاً وفى المجتمع دوراً يليق به بدون فتح الباب لاستغلاله . إذا نظرنا إلى حركة التاريخ وجدنا الدين فُصل عن الدولة عن طريق فصل الكنيسة عن الدولة فى البلاد المسيحية. ولا يعنى فصل الكنيسة عن الدولة فى البلاد الغربية وغيرها من البلاد المماثلة أنها اقتلعت الدين فالحرية الدينية مكفولة فيها، ولا تزال للمسيحية دور كبير فيها بل أن للمملكة المتحدة كنيستها الرسمية على عكس معظم البلاد الغربية، ولكنها تكفل الحرية الدينية لجميع مواطنيها الذين جاء بعضهم من أصول إسلامية وهندوكية وبوذية وسيخية.

ولم تحقق البلاد الغربية نهضتها وتقدمها فى جميع المجالات إلا بعد أن فصلت الكنيسة عن الدولة. ولم تتعمق جذور الديموقراطية فيها إلا بعد أن تخلصت من تسلط الدين على الدولة، ولم تصل إلى ما وصلت إليه من رقى حضارى واستقرار اجتماعى وإزدهار اقتصادى إلا بعد أن فصلت الدين عن الدولة. وما هو جدير بالذكر أن الهند التى حصلت على استقلالها بعد مصر تمسكت منذ استقلالها بالديموقراطية وفصلت بين الدين والدولة وحققت إزدهاراً اقتصادياً يجعلها فى مصاف الدول الكبرى، والفرق شاسع بينها وبين باكستان وكانا فى الأصل بلداً واحداً، والسبب أن باكستان لم تفصل بين الدين والدولة .

إن وجود المادة الثانية بصيغتها الحالية فى الدستور المصرى يؤكد ان مصر تفرض ديانة الأغلبية ديناً للدولة فى ظل وجود المسيحيين وهم اقلية دينية كبيرة بين مواطنيها الأصلاء. ووجود هذه المادة فى الدستور يؤكد - مع الأسف - أن مصر هى

الدولة الوحيدة فى العالم (لايشاركها أحد) التى تفرض الشريعة الدينية للأغلبية كالمصدر الرئيسى للتشريع !!! .

إن علينا أن نجيب بصراحة وبشفافية وبصدق مع أنفسنا على هذا السؤال:, هل مصر دولة مدنية علمانية ... أم أنها دولة دينية ؟ الدستور المصرى تارة يقول إنها دولة دينية وتارة أخرى يؤكد انها دولة مدنية وعلمانية. ولعل هذا هو السبب الرئيسى لتلك البلبلة ولذلك التيه والتخبط الفكرى الذى نعانى منه اليوم , ياترى ما هى الاصلاحات الدستورية التى نريدها بالضبط ؟.. هل هى الاصلاحات التى تؤكد على مدنية الدولة وحقوق المواطنة وحرية العقيدة وسيادة القانون؟ أم إننا نريد إصلاحات دستورية تؤكد على دينية الدولة المصرية ؟ .. إن الإجابة على هذا السؤال الهام والخطير هى التى ستحدد لنا الصورة التى ستكون عليها مصر المستقبل .

وكحل وسط قد يساعد على تجنب السلبيات التى تمثلها هذه المادة، نقترح تعديل المادة الثانية وبحيث يشتمل التعديل على هذه الأفكار :-

● العربية لغة الدولة الرسمية.

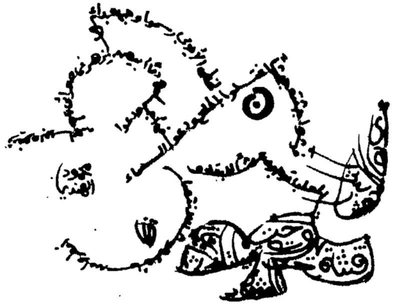
●الإسلام ديانة غالبية المواطنين والمبادئ العامة للشريعة الاسلامية مصدر من المصادر الرئيسية للتشريع، بما لا يتناقض مع التزامات مصر طبقاً لمواثيق حقوق الإنسان الدولية أو يخل بحقوق مواطنة غير المسلمين وتستلهم الشرائع السماوية الأخرى كأحد مصادر التشريع .

●التمتع بكل الحقوق والحريات المدنية لا يتوقف على المعتقدات الدينية للفرد.

●مبادىء الشريعة الإسلامية المشار إليها هى كذا وكذا (لابد من تحديدها بدقة ووضوح)

● ترعى الدولة القيم العليا للأديان والحضارات والثقافات الإنسانية، لذا فإن كافة أجهزة الدولة تلتزم بالحياد إزاء الأديان والمعتقدات.

وإذا لم يتم التأكيد على مدنية الدولة بصراحة ووضوح ستكون مصر معرضة لمخاطر طائفية، وسيدفع الجميع ثمناً باهظاً، وسنظل جميعاً نتخبط داخل النفق المظلم !!!



هوامش

١- امين سليمان ابو المجد، قراءة فى فكر مسلمين مستنيرين مقال، - www.coptd united.com ١٥/١/٢٠٠٤

٢- موسوعة السياسات والدين ، يرأس تحريرها روبرت ووشنو

٣- عادل جندى، الحرية فى الأسر، دار ميريت القاهرة ٢٠٠٦، ص.٣٨٨

٤ - بهى الدين حسن ، ليس الإخوان بل الأقباط هم ضحية التعديلات الدستورية، مقال، جريدة نهضة مصر، ٢٩/١/٢٠٠٦.

٥ - الحرية فى الأسر، مرجع سابق ، ص ٣٩٢ - ٣٩٤ .

٦- د. إبراهيم شحاته، وصيتى لبلادى النص الكامل ط٢، مكتبة الأسرة ٢٠٠١، ص ٢٨١

٧- بهى الدين الدين حسن، ليس الإخوان بل الأقباط هم ضحية التعديلات الدستورية ، مقال ، جريدة نهضة مصر ٢٠٠٦/١/٢٩ .

٨ - الحرية فى الأسر ، مرجع سابق، ٣٩٠

٩- حسين عبد الرازق، الأقباط والمادة الثانية ، مقال ، جريدة الأهالى ٢٠٠٧/١/٢٤ .

حداثة سيزيف

د. شيرين أبو النجا

حرية الرأى والتعبير قضية قديمة جديدة كل الجدة. لا يمر أسبوع واحد الآن إلا ونجد أنفسنا متورطين حتى الثمالة فى نفس القصة. نمطية التكرار تبدو كأنها إحدى سمات العصر.

مشهد أول: نقطة بداية الزوبعة لا تختلف مطلقاً. قصيدة مسيئة للذات الإلهية مدونة بها أفكار تسئ للإسلام، رواية تحوى مشاهد جنسية لوحة لامرأة عارية، تصريحات فى جريدة، بحث علمى.. لا فرق، كلها وسائل تحمل رأيا مخالفاً لما هو سائد. عندما تبدأ الزوبعة التى تتحول إلى عاصفة توظفها الصحف ووسائل الإعلام بقدر لا بأس به (وهو أمر منطقى ، فكيف يمكن ملء كل صفحات الدشت وساعات الإرسال بأحداث مشوقة سوى استخدام قضايا حرية الرأى؟!) وكما أن الزوبعة لا تختلف، تأتى أفعالنا مكررة ونمطية تماماً. نعيد كل ما فعلناه من قبل (المدهش أننا نفعله وكأننا نخوض الأمر لأول مرة!)، مؤتمرات تضامنية، بيانات احتجاجية، حملة توقيعات ، تصريحات تؤكد أننا نحترم الإسلام، وتصريحات أخرى ، تفصل دور الخيال فى الفن والأدب، ثم نبدأ فى تلاوة البنود التى أوردها الدستور والتى جاءتنا بها المعاهدات الدولية (التى وقعت عليها الحكومة لارتداء ثوب الحداثة الذى يهترئ

بمجرد طرح قضية حرية الرأى والتعبير). مادة رقم واحد: عبر عن رأيك لأنك إنسان، مادة رقم٢: قل ولا تخف فالدولة مدنية، مادة رقم ٣: فكر وفكر لتبنى المجتمع، مادة رقم ٤: لن يغتالوك، مادة رقم ٥: لن يمسوك، مادة رقم ٦: هل صدقت انك تملك حريتك؟ إذا جاءت إجابتك بنعم فعليك ان تستمر فى مراكمة المواد فى أحد أركان خشبة المسرح ثم انثر حولها بعض المصطلحات النمطية ويفضل «الجماعات الظلامية، و«محاكم التفتيش» أخفض الإضاءة ليتسنى تغيير ديكور المشهد.

مشهدثان: نحن الآن فى قاعة المحكمة، كل طرف قد اتى بأنصاره ومريديه.

نظرات نارية أو لا مبالية، محامون شباب، محامون حقوق الإنسان، ميكروفون كاميرا فضائية شهيرة يتنقل بين الأفواه، مذكرات، طلب تأجيل للإطلاع.. ثم اللحظة الحاسمة. مرافعة قوية تجلجل فى أركان المحكمة (فى هذه الأثناء تحاول امرأة لم يرحمها الزمن أن تصل لزوجها الواقف خلف القضبان لتناوله سندوتش طعمية، وهى تدعو على كل فرد فى المحكمة!) يجلجل صوت المحامى ليحكى نفس القصة الأزلية. قصة وكيل النيابة الذى أجرى التحقيق مع طه حسين، ثم يؤكد على عظمة ونزاهة تلك العصور الغابرة، ويطلب من القاضى احتذاء نفس النموذج. دائماً ما نعود إلى الخلف كل تلك العقود لنحصل على قدر من الشرعية. لابد أن نقسم أن كل الأشياء والأحداث قد وقعت بالفعل فى الماضى، وأننا لا نبتدع بل نتبع، اننا لم نأت بجديد بل نحن القديم نفسه. نخرج من المحكمة شاعرين بزهوة الانتصار وكأننا نسمع هذه المرافعة لأول مرة.

مشهد ثالث: قصاصات صحف ومقالات يجمعها «المتهم» ليتمعن فى قراءتها. كلها تتراوح ما بين التحريض والتشويه والتضامن والتسفيه والتعظيم والتسخيف. للحظة يتساءل «المتهم» أيهم يصدق؟ تتحول حياته إلى جحيم يموج بمكالمات تليفونية من صحفيين وأصدقاء يهربون وأصدقاء يتعلمون المشى على الحبل وأصدقاء يوجدون مبررات للسلطة فيبدو الواحد منهم وكأن هالة النور والحكمة تحيط برأسه وملائكة صغيرة ترفرف بأجنحتها حوله.

مشهد رابع: تتراجع القضية بأكملها إلى خلفية المسرح وفجأة تثور الزوبعة من جديد وتبدأ عادة حرفية للثلاث مشاهد السابقة والجمهور يتفاعل معها كأنه يشاهدها لأول مرة.

•••

بعد فترة تكتسب كل الأطراف خبرة هائلة فى كيفية دحض أو توظيف التصنيفات الجاهزة، فهؤلاء المارقون الذين مارسوا حق التعبير هم زنادقة أو ممولين من جهات مشبوهة أو ساعيين لتشويه سمعة مصر أو محبين للشهرة أو انحرفوا فكرياً بتأثير العلمانية الغربية. تبدأ التصنيفات صغيرة وتتدحرج من صحيفة لأخرى ومن فضائية لأخرى فتكبر وتكبر مثل كرة الثلج. أنتم الجماعات الظلامية، بل انتم الكافرين بشرع الله، انتم الإرهاب، بل أنتم الفجر، أنتم عقول منغلقة، بل انتم قلوبكم غلف.
سيزيف نفسه كان سيشعر بالملل، فعندما كان يصعد ويهبط الجبل كان يعلم أنه عقاب زيوس له لإفشاءه السر، أما نحن فلماذا لا نشعر بالملل ؟

•••

فى اى التصنيفات الجاهزة تلك يذكر اسمى ؟ للأسف، ولا واحدة، فأنا لست سوى ،مخلب قط، هكذا أسمتنى مذكرة المدعى فى القضية المرفوعة ضد المناضلة شاهندة مقلد والناشر محمد هاشم وأنا، مذكرة تطالب بتطبيق المادة ٣٠٨ وهى الحبس والغرامة عقابا لنا على اشتراكنا فى كتاب ،من أوراق شاهندة مقلد، (صادر عن دار ميريت للنشر عام ٢٠٠٦).
أنا ،مخلب قط، وظفتنى شاهندة مقلد لخدمة ،أغراضها الخبيثة، فى النيل من سمعة أشخاص رحلوا عن الحياة منذ زمن. أنا ،مخلب قط، كنت أشم رائحة دمى يحترق من هذه الجملة، أو بالأحرى شبه الجملة التى وردت فى مذكرة تفوق العشرين صفحة والمليئة بالسب والقذف!

•••

أربعة أعوام أو ما يزيد قليلاً قضيتها فى ترتيب وقراءة أوراق شاهندة قصاصات صحف اصفر لونها مع الزمن، حقائب مليئة بالصور والخطابات، حكى مستمر، مذكرات قانونية، أحكام قضائية.. تفاصيل مهولة بدأت وانتهت قبل أن يحظى العالم بشرف

مجيئ له. فقد أُغتيل صلاح حسين زوج شاهندة مقلد فى ٣٠ أبريل عام ١٩٦٦، وولدت أنا فى ٢٥ يوليو ٦٦.

بعد أن كبرت كثيراً أو قليلاً أدركت اننى لا أملك سوى إمكانية القراءة والكتابة. فكان أن آمنت بحق السؤال والاكتشاف، وأردت كتابة قصة امرأة صنعت جزءاً مهماً من تاريخ مصر الحديث. صدقت كل من نادى بحق المعرفة، صدقت اننى أكاديمية وصدقت أن المؤسسة تعترف بحق البحث العلمى وحق إعادة كتابة وقراءة التاريخ، صدقت كلاماً براقاً عن إنتاج المعرفة، صدقت كل من قال أن من لا يعرف تاريخه لا يمكن أن يعرف جغرافيته. صدقت مشروعية طرح سؤالين: من الذى يكتب التاريخ وكيف نفهم التاريخ.

•••

فهمت التاريخ فى المحكمة (المكان الملائم لفهم ما استعصى فهمه). فى المحكمة - التى بدأت أولى جلستها ٨ يناير ٢٠٠٧ أدركت الرؤى التى تجعل التاريخ يحدث فى عقول البشر وليس فى الواقع. فهمت فى المحكمة أن ثلاثتنا ماركسيين وشيوعيين، ولكننى لم أفهم العلاقة بين هذا التوصيف وبين وقائع تاريخية حدثت بالفعل. فهمت فى المحكمة كيف تهدر الطاقة وكيف يهدر الوقت والجهد لنعيد اختراع العجلة حرية الرأى والتعبير هى بالنسبة لى فعلياً إعادة اختراع للعجلة.

•••

منذ عدة أيام دعتنى قناة الأوربت مع الدكتور عاطف العراقى لمناقشة تكريم ملكة بريطانيا للكاتب الهندى سلمان رشدى. وأرادنى مقدم البرنامج أن أدلى برأيى فى شكل أبيض أو أسود، إما أنا مع الحرية المطلقة فى الإبداع. أو أنا ضدها، أرادنى أن أكون الطبعة النسائية من بوش، إما معهم أو ضدهم. ولما كنت ضد تلك المنظومة التقابلية الحادة التى لا تعنى لى فى الحالتين - سوى الجمود والانغلاق فقد أعلنت رأيى صراحة وهو أننى لست مهمته مطلقاً بهذا التكريم، بل أنا مهمته بتصريح وزير خارجية بريطانيا رداً على ما حدث من احتجاجات عنيفة فى العالم الإسلامى. فقد قال: «بالطبع علينا أن نتحلى بالكياسة، ولكننا نرى أن حرية الرأى والتعبير فى السياسة والأدب والنقاش مهمة لمجتمعنا على المدى البعيد. وعلينا أن نتحمل رأى



الآخر فيما نفعله،. بكل ما يحويه هذا التصريح من دلالات تعبر عن رؤية بعيدة المدى فى تقوية أركان مجتمع يصبح قادراً على الوقوف أمام الآراء المخالفة والمغايرة دون أن ينزلق فى فخ محاولة تقليد سيزيف يقع اهتمامى بقضية حرية الرأى والتعبير.

•••

اختلف كثيراً مع الآراء التى ترسخ طرفى الصراع بوصفهما الدين والإبداع فالصراع كما أراه - أياً كانت أطرافه - ليس سوى صراع على السلطة، ومن له الكلمة الأخيرة تزداد قوة سلطته. هو صراع على الكلمة، على القول، على الرأى. من يتكلم يملك. وفى البدء كانت الكلمة.. الكلمة التى تغير أفكار وتنتج وتعيد إنتاج أفكار. الكلمة التى تفتح أبواباً رحبة للروح وتفسح أمكنة للعقل، والكلمة التى تخنق الروح وتسجن العقل. الكلمة.. السلطة والقوة. أين الدين من ذلك ، وأين الإبداع؟ هو صراع تخفى فى ثوبى الدين تارة والإبداع تارة، وكلاهما برئ. الدين والإبداع ليسا سوى أدوات لإدارة الصراع وهى أدوات ملائمة للعصر بامتياز، العصر الذى تحاول فيه المؤسسة التحيز لصاحب الصوت الأعلى والمزايدة على قوة الإيمان.

أما آن الأوان أن نصنع حكايتنا دون أن نقلد سيزيف؟ ألا نملك الحكاية بأكملها؟..

•••

أخرق إجماعكم

أحمد الشهاوى

إن جهل أعضاء مجمع البحوث الإسلامية الذين قرروا - بالإجماع - برئاسة شيخ الأزهر مصادرة كتابى - بالأدب وتراث العشق العربى، وما جاء فى كتب الفقهاء والأئمة والعلماء، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن العشق، دفعهم إلى تحريم الحلال، واتهامى بالكفر الصريح، والخروج على الإسلام.

إن أول ما حث به الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم كان القراءة وأنا أعجب لهؤلاء الأعضاء يتقدمهم شيخ الأزهر وهم يفتون فى أمر كتابى دون أن يقرءوه، أو حتى يعرفوا إن كان شعراً أو نثراً، فهم يسمونه ديواناً، ويسقطون الألف واللام من «الوصايا» فيصير العنوان «وصايا فى عشق النساء»، وكل هذه الأخطاء لأن واحداً فقط هو الذى قرأ. والمدهش أن الأعضاء إذا سألتهم فى الطب أو الذرة أو الشعر، أو الكيمياء أو الفيزياء، أو التكنولوجيا أو أى علم يجيبون. وفتواهم لا تهمنى لأنه كما هو معروف - الفتوى حكم غير ملزم، بينما القضاء حكمه ملزم.

وهل من العيب أن يصدر أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بياناً يعتذرون فيه للأمة الإسلامية عما جاء فى فتواهم ويقرون بأنهم لم يقرءوا الكتاب، وإنما وقعوا فقط على التقرير الذى كتبه أحد الأعضاء (د. عبد الرحمن العدوى) كأنه العارف بالله، الخبير

بشئون الشعر والنثر، لماذا لا يتأسون بالإمام مالك الذى كان إذا سئل فى اربعين مسألة فقهية أجاب عن اربعة فقط قائلاً: لا أعلم أو لا أدرى.

ومن ذا الذى أعطى الحق لكل أستاذ جامعى فى الأزهر ان يفتى فى اية مسألة؟ ألا يعتبر توقيع أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بمثابة شهادة الزور؟ ومن يشهد زوراً فهو آثم، إنهم شهدوا على شيء لم يروه. أليس ما حدث هو غش ،ومن غشنا فليس منا،؟

ففى مصر تصدر الفتوى طبقا للمذاهب الأكثر يسراً كالشافعى والحنفى والمالكى ومع ذلك نرى شيخ الأزهر والذين معه من الأعضاء متشددين متعصبين، يفتون على طريقة الجماعات الإسلامية المتشددة المتطرفة التى لا ترى فى هذه الدنيا إلا كفراً.

كان ينبغى أن يجتمع أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بعد قراءتهم للكتاب، ثم عقب ذلك يتداولون أمر كتابى وأمرى، كما هو معمول به فى كل مجامع الدنيا لأن العلماء والفقهاء لا يجمعون ، بل يبحثون ويختلفون، ففى اختلافهم رحمة بالمسلمين لكن مسألة أن يناب عضو عن بقية الأعضاء، ثم يحدث الإجماع، ثم إصدار بيان أو فتوى، مسألة لم نعرفها فى الإسلام ولم نرها فى أى من عصوره، وأطلب الهداية لهم جميعاً، وتغيير نظام مجمعهم المعمول به.

إن ما حدث مع كتابى ،الوصايا فى عشق النساء، هو سفاسف أعتبرها جهلاً بالفقه الإسلامى. لست أبترأ من فعل أعتذر عنه، فمثلى لا يعتذر عن شيء كتبه ونشره، ولن أصور نفسى ضحية جنى عليها أعضاء مجمع البحوث الذين يسمون أنفسهم ،العلماء، وهم يحكمون بالجهل والزور دون قراءة، ولكنى أقول إن ما حدث هو عدوان على الله ورسوله وعلى تاريخ الثقافة العربية، وتراثها قبل أن يكون عدواناً على، فلم نر تحليلاً نقدياً لكتابى ولكن رأينا إنشاء وحماسة لاتبيينان عن فكر ومحاججة، وفتوى الأزهر الخالية من جدلٍ واختلافٍ ونقاشٍ وتداول رأى هى فتوى صادرةٌ عن عقلٍ بشرى يخطئ ويصيب وليست مقدسة أو منزلة أو إلهية أو أن صاحبها يوحى إليه، بل إن الأزاهرة دائماً وأبداً يضفون القداسة على أنفسهم، باعتبارهم ظل الله فى الأرض، لماذا لا يكرسون وقتهم لدراسة كيف تعامل الأسلاف مع العشق، وكيف تأثروا بالقرآن والحديث فى كتاباتهم الشعرية والنثرية، بدلاً عن خطبة الوعظ الرثة التى أصدروها فى مقابل غياب الخطاب الدينى الفكرى العميق. كان ينبغى لهم أن يقتلوا القديم بحثاً قبل أن يصدروا حكمهم علىّ بقتلى وقتل كتابى (انظر تصريحات إبراهيم الفيومى، شوقى

الفنجرى، العدوى، المطعنى، عبد الصبور مرزوق، وآخرين كثر).

إن فكرة كتابى الوصايا التى حرمت وكفرت وحوربت ستصير مع الزمن جنساً أدبيا، فالوصية جنس أدبى مهمل فى تراثنا، أردت إعادة خلقه بالكتابة.

فتوى الأزهر، هى حجر على عقول الأمة، تلك العقول التى تميز وتعرف الصحيح من الخبيث، ولا تحتاج إلى سلطة كهنوتية تفكر لها، فالعامة دائماً ما تردد «ربنا عرفوه بالعقل»، وعقل أعضاء المجمع ليس أحسن من عقول المسلمين جميعاً، وكذلك إسلامهم ليس أصلح وأعمق من إسلامهم وإسلامى.

إننى أخرق إجماعكم ، لأتواصل مع القرآن والحديث، وأتلاقى مع ما أبدعه الأسلاف، وأؤسس لنص جديد جوهره روحى وعماده إيمانى وثقافتى التى تدين للتراث العربى الإسلامى بالكثير. وأبرئ الإسلام من تخلف وتراجع وجمود الذين أجمعوا وأصدروا الفتوى بشأن «الوصايا فى عشق النساء» أو أى كتاب إبداعى آخر، يحتاج فى قراءته إلى عين تفسر وتؤول وترى من خلال ثقافة عميقة ورؤى منهجية. إن كلمة الله ورسوله تتجلى فى نصى الذى صار على أيدى حفنة من الأزهرة مدنساً.

رأيت بشراً يفتون فى أمرى كأن كل واحدٍ منهم يقول: «إنى أعلم ما لا تعلمون». إن أغلب الفتاوى التى صدرت فى حق الشعراء والعلماء والأئمة والمتصوفة على مدار التاريخ باطلة ومغرضة ومجحفة وجاهلة، وظللنا نبكى على مقتل هؤلاء وندرس نتاجهم ونضعهم الآن فى الصفوف الأولى من تراثنا كالحلاج والسهرودى على سبيل المثال.

لم استبعد لحظة واحدة أن هذه الفتوى جاءت متسربلةً بثياب «الدين فى خدمة السياسة»، فأعضاء مجمع البحوث الإسلامية أغلبهم يتعاطف أو يتشارك أو يندرج فى جماعة الإخوان المسلمين التى أثار واحد منها «نائب عن الإخوان المسلمين فى البرلمان المصرى» قضية «الوصايا فى عشق النساء».

أى أن الأزهر حقق غرضاً سياسيا دنيويا لجماعة الإخوان المسلمين على حساب الدين، وعلى حساب شاعر مسلم، اتهم على أيدى الأزاهرة بالكفر والمروق والخروج على الشريعة إلى آخر عريضة الاتهام وهى - للأسف - كثيرة ومتنوعة ، إلى درجة طلب معاقبتى عقاب المفسدين فى الأرض كما قال د. عبد الرحمن العدوى. أى أن الأزاهرة يكفرون مسلما، لأجل مصلحة نفعية زائلة، وغرض سياسى واضح، ونصر زائف مؤقت

على الحكومة المصرية التى «تصرف المال العام فيما لا يفيد وينفع إشارة إلى إصدار كتابى فى إطار مشروع «مكتبة الأسرة».

إن هذا نموذج عصرى صارخ لتوظيف الدين سياسيا كأننى أعيش فى العصرين الأموى والعباسى، حيث كان الدين مطية تمتطى فى النهار الواحد آلاف المرات.

الآن يتحالف «حزب» سياسى باسم الدين هو «الإخوان المسلمون» مع مؤسسة دينية رسمية هى «الأزهر» لمصادرة كتاب، وتكفير شاعر، وإهدار دمه باسم «حماية العقيدة من كل دخيل وتنقيتها من كل شائبة تحاول تلويث الفكر الإسلامى» إبراهيم الفيومى أمين عام مجمع البحوث الإسلامية (صوت الأزهر - ١٤ من نوفمبر ٢٠٠٣) الذى اعتبر أن كتابى «الوصايا فى عشق النساء» يكاد يكون كفرا صريحاً، ودعوة فادحة للفحش والتجرد من الحياء ومن ثم يمنع من التداول، لأنه «يفتح بابا من الفسق والفجور أمام الشباب المحروم والعاجز عن تكوين أسرة».

إن الفيومى وغيره يشير إلى تحكم تيار التقليد فى أروقة الأزهر «لجانه ومجالسه ومجامعه وجامعته»، ذلك الأزهر العظيم الذى يفقد دوره تدريجيا على أيدى هؤلاء الموظفين، موظفى الدين لخدمة أية طائفة أو تيار، باعتبارهم يملكون الحقيقة الدينية المطلقة، ولا ينبغى لأحد مثلى مخالفتهم أو مجادلتهم بالتى هى أحسن، لقد جادلت اثنين منهم هما عبد الصبور مرزوق وعبد العظيم المطعنى، ولم أر منهما علماً سوى فقه السباب، وشريعة الشتيمة، وكان ذلك فى مناظرتين إذاعية وتليفزيونية فى BBC وقناة النيل الثقافية.

إن ما يشاع عن أن خطاب أعضاء مجمع البحوث الإسلامية الدينى هو خطاب معتدل، محض وهم شائعة، لقد رأيت فى المحصلة النهائية أن خطاب بعض الأزاهرة موافق لخطاب الجماعات المتطرفة لدرجة التماثل.

فالأزاهرة يريدون احتكار الحقيقة الدينية المطلقة، لأنهم السلطة القاطعة، وكذا التيار الدينى المتشدد.

أعرف أن من له حق الفتوى فى حق المسلم أو الأمة الإسلامية ينبغى أن يكون عالما مجتهداً يدرك النص والحال معاً، كى يبين حكم الشرع فيمن أو فيما يحكم عليه.
والفتوى (أو قل إبداء الرأى) فى حق النص (الوصايا فى عشق النساء) دون إدراك من الإجماع، لأنها صدرت بلا قراءة ، وغاب التداول والتمحيص والتدقيق والخلاف، وفى

حق المسلم (أحمد الشهاوى) دون أن يعرف حاله أو الاستماع إليه ومحاججته. فشيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوى يدعى انه يتم «الاستماع لرأى الأديب» - مجلة المصور ٢٠ من نوفمبر ٢٠٠٣ ميلادية، وتداول الأمر بين أعضاء مجمع البحوث الإسلامية.

ويفهم من كلامه المنشور فى «المصور» انه تم الاستماع إلى رأيى، وكذا انهم قرءوا وتجادلوا وتبادلوا الرأى ثم صدرت الفتوى بالمصادرة، وان الكتاب مخالف للشريعة، وخارج على الإسلام لأنه مسئ له ومن ثم كاتبه. وكل هذا محض ادعاء كاذب، ولا أدرى لماذا يكذبون على الله وعلى أنفسهم وعلى الأمة؟ فهل هم بذلك يبينون للناس انهم يحكمون بالشرع وان الأمر كان شورى بينهم، وأنهم يفعلون مثلما كان يفعل السلف الصالح؟.

على أية حال لم أعتد فى حياتى أن أرد على أحد أساء إلى، ولكن الأمر الأزهرى ضدى صار فادحاً وفاضحاً، فأردت أن يعلم الجميع أن الإجراءات التى تمت مع «الوصايا فى عشق النساء» باطلة، وأن الفتوى صدرت بالإجماع عن جهل بالكتاب وشاعره، وأن ما قاله شيخ الأزهر فى «المصور» منافٍ للحقيقة، وهو رأس اجتماع المجمع ووقع على فتوى المصادرة دون أن يستمع إلى الأديب - الذى هو أنا - أو يقرأ الكتاب. ولأن هناك قضاء يمكن اللجوء إليه فى مثل هذه الحال، ليعرف المرء المقاصد والأهداف من وراء هذه الفتوى، وهل هى سياسية أم دينية، ولماذا لم تلتزم التقاليد الإسلامية والعلمية المتعارف عليها فى الدين، أو فى أى نظام له قواعد وأصول، وهل هكذا يتعامل الأزهر - أكبر مؤسسة دينية فى العالم الإسلامى - مع شئون المسلم والأمة الإسلامية فهل هذه الفتوى حققت مراد الله من شرعه؟

ولأنها غير مطابقة لواقع الحال، فلماذا لا يخرج شيخ الأزهر وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية ويقرون جميعاً بالخطأ، وليس عيباً أن يقولوا أخطأنا، لأننا لم نراع فى اجتماعنا تصوير المشكلة موضوع الفتوى وتكييف موضوعها وبيان الحكم فيها، ففى الاختلاف تنوع لا تناقض، وكان الأسلاف من الفقهاء والأئمة يختلفون فى حجم الظن، حيث لا إجماع ولا اتفاق بين الناس، بينما نرى فى أزهر مشايخ عام ١٤٢٤ هجرية إجماعاً بالمصادرة والتكفير على كتاب لم يقرءوه وشاعر لم يستمعوا إليه، كأن «العلماء» لم يقرءوا تراثهم الإسلامى، ولم يعرفوا الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وماذا كتب الأوائل، أو ماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى المحبة.

يقول مفتى مصر د. على جمعة وهو واحد من الذين وقعوا على فتوى مصادرة



«الوصايا فى عشق النساء» دونما أن يراه أو يقرأه: «الفتوى من غير المتخصصين تضرب الأمن الاجتماعى فى مقتل ولو كان المتكلم عالما يؤلف عشرات الكتب، لأن الفتوى عاوزه واحد يتفاعل مع القضايا المعقدة وهذه مهمة ليست سهلة» - مجلة آخر ساعة ١٢ من نوفمبر ٢٠٠٣، فأين هم الشعراء والنقاد والأدباء العارفون بشئون الكتابة والنقد والإبداع المتخصصون فى مجمع البحوث الإسلامية، كى يفتوا فى أمر كتابى وأمرى. ألم يكن كتابى يحتاج إلى متخصصين من أهل الأدب لأن المجمع لا يضم بين أعضائه أديبا أوشاعرا أو ناقداً أو كاتبا، فهم من وجهة نظر الأزاهرة ملاحدة وكفرة علمانيون لا يفقهون سوى المجازات والأخيلة، «ويتبعهم الغاوون».

إن الدين الإسلامى العظيم دستوره «لكم دينكم ولى دين»، وشعاره «من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» ومبدؤه «لا إكراه فى الدين» ورايته «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن» لا يمكن أن يتعامل «علماؤه» مع شاعر مسلم بهذه الطريقة التى ينكرها الشرع، وتأباها العقيدة، فالإسلام تتعدد مرجعياته، وليس «علماء» الأزهر هم المرجعية الوحيدة للإسلام، حتى ولو كان ذلك بقرار من الدولة المصرية.

إن ما حدث معى يشوه صورة الإسلام فى العالمين العربى والإسلامى وكذا فى الغرب، خصوصاً أنه آتٍ من الأزهر، فى الوقت الذى نحتاج فيه إلى تحسين صورة الإسلام والمسلمين فى العالم، بعد اتهام المسلمين بالتطرف والإرهاب والتعصب والتشدد، ووصف الإسلام من لدن أعدائه بالجمود والتخلف» وهذا الفعل يعطى مبرراً «للآخر» لزيادة التشويه، بعدما رأيت «علماء» المسلمين يسيئون للإسلام بتكفيرهم شاعراً مسلما ومصادرة كتاب «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

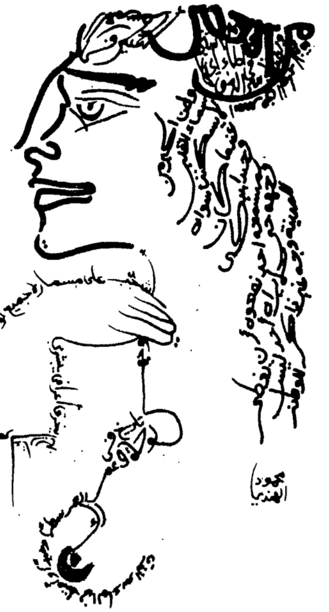
فلا يعقل أن يكون لشيخ الأزهر كتاب عنوانه «أدب الحوار فى الإسلام» ولا يطلب من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية أن يقوم حوارهم على المجادلة بالتى هى أحسن، بدلاً عن الإجماع، والتوقيع على البيان الصادر ضد كتابى دون قراءة وحوار، فالله سبحانه وتعالى فى كتابه العظيم فتح باب الحوار حتى مع إبليس الذى أبى واستكبر. وقد قدم القرآن الكريم نماذج مختلفة لحوار الخالق جل علاه مع مخلوقاته فى السماء والأرض من ملائكته ورسله، كما نرى حوار الأنبياء مع أقوامهم، وحوار أصحاب الجنة فيما بينهم وحوارهم مع أهل النار، كما يجد المرءُ فى القرآن - أيضاً - حواراً مع المنكرين للرسول صلى الله عليه وسلم. يقول شيخ الأزهر د. طنطاوى: «الحوار أمر لابد منه فى

كل زمان ومكان، وهو أوجب فى هذا العصر الذى نعيش فيه، لأنه يفتح النفوس على بعض ويعين كل طرف على فهم الطرف الآخر. لأنه من الصعب أن تحدث عملية الفهم هذه دون أن أخالطك وأتحدث إليك».

فى حالتى - ومن المؤكد أنه فى حالات أخرى قبلى - لم أر حواراً من أى نوع مورس فى مجمع البحوث الإسلامية، بل صرنا نسمع فى زماننا الذى نحتاج فيه إلى الحوار - كما أوضح شيخ الأزهر - إلى عبارة «بإجماع آراء العلماء»، كأن العلماء لم يعرفوا فقه الاختلاف والتعدد والتنوع الذى هو أهم سمات الدين الإسلامى. إن الضرر يقع على الإسلام من أبنائه الذين يسلكون مسالك خاطئة، ويتكاسلون عن القراءة والفحص كأنهم يؤدون عملاً وظيفياً ينبغى إنجازه على وجه السرعة، ولا ينظمون طرائق العمل داخل مجمع البحوث الإسلامية، فلا بد أن يكون هناك اختلاف فى فهم النص وتفسيره، بدلاً عن هذا الإجماع ، الذى أعتبره عدواناً، والإسلام قد حرّم العدوان على الآخرين (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) فأن يتهمنى أمين عام مجمع البحوث الإسلامية (الشيخ الفيومى) بالكفر الصريح، فهذا اعتداء لا يسكت عليه، لأنه يعرف قبلي أن الحكم بالكفر يتطلب أن تكون هناك أدلة واضحة ومؤكدة لا يتطرق إليها الشك على هذا الكفر أو أن يعترف الشخص نفسه بالكفر.

وآخر هو الدكتور عبد الرحمن العدوى طالب بإنزال عقوبة المفسدين فى الأرض فىّ ، وفى موضع آخر من حواره المنشور فى جريدة الرأى العام الكويتية (١٢ من نوفمبر ٢٠٠٣) ، طالب بسجنى ، هو يعرف قبلى أن عقاب المفسدين (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض).

والعدوى - هذا - هو الوحيد الذى قرأ الكتاب ، وهو متخصص فى تكفير المسلمين فلست الأول فى سلسلته التكفيرية، ولكن ما بال زملائه فى المجمع الذين شهدوا زوراً، إننى أجل العلماء الحقيقيين واحترمهم وأقدر اجتهاداتهم وجهودهم لنشر صحيح الدين والزود عنه وأربأبهم عن الفتوى دون قراءة للكتب. فالإسلام اعتبر مثل هذا السلوك شهادة زور يأثم صاحبها، لذلك أطلب من «العلماء» أن يقرأوا الكتاب الذى بصموا أو وقعوا بالإجماع على رفضه، لأننا فى دولة اسمها مصر تتبع الوسطية الإسلامية والاعتدال الإسلامى. وما رأيته من بعض أعضاء مجمع البحوث الإسلامية من مغالاة هو من مظاهر تقويض الإسلام وهدم أركانه، وليس لى غير أن أقول «وأنذر



عشيرتك الأقربين، فلا تكونوا كابن أبى داوود الظاهرى القاضى الذى حكم بإعدام الحلاج فى عام ٣٠٩ هجرية، لأن كل واجد قد فنى بما وجده، فلم أملك شيئاً ولا ملكنى شىء.

الديوان الصغير

نازك الملائكة: الثائرة الملتزمة



إعداد وتقديم:

ريم قيس كبّة

لن اعود فأقول كل ما قيل.. ولن أطيل الحديث عن ريادة هذه السيدة أو إبداعها كناقدة وكشاعرة وكمؤسسة لحركة شعرية غيرت خارطة الشعر العربى التى امتدت لقرنٍ ونصف القرن.

بل سأحاول أن اخوض فى درب آخر .. ليس جديداً.. لكنه مختلف قليلاً ربما عن الكثير مما كتب منذ لحظة رحيلها.. محاولة بذلك ان أحذو حذوها هى فى الرغبة فى الاختلاف!

سأحاول مثلاً أن اتحدث عنها كمترجمة! .. او كعازفة للعود ومنشدة .. سأحاول أن أروى بعض تفاصيلها كإنسانة.. تلك المرأة الجدية الحدية الصارمة .. مرهفة الحس.. الأنثى من نوع خاص.. والابنة من نوع خاص.. والأم من نوع خاص.. سأتطرق للحديث عنها كطالبة متفوقة، وإستاذة حازمة، ومن كل ذلك سنخلص معاً إلى تلك التركيبة الفريدة التى كان أقل ما يمكن أن تفضى إليه: هو الريادة!

البيت:

الأسرة العريقة.. طبقة متوسطة مرتاحة مادياً .. محبة للأدب والفن.. العائلة من آل الجلبى البغدادية .. لكن أهل الحى صاروا يطلقون على هذه الأسرة لقب «الملائكة» لهدوء أفرادها وخفتهم.. كانوا إذا مشوا فكأنهم لا يلمسون الأرض.. وإذا تحدثوا كانت أصواتهم واطئة وواثقة.. ولا يتفوهون إلا شعراً!

الأب «صادق جعفر الملائكة» .. أستاذ اللغة العربية الذى خرج أجيالاً من المخلصين للغتهم وتراثهم .. شاعر وباحث.. والأم: «سلمى الملائكة» - الأبنة البكر «لهدايا كبة» - شاعرة فطرية لم تكن تكف عن قول الشعر ونظمة فى كل المناسبات.

يقترن الأب بالأم وهى فى ربيعها الرابع عشر لينجبا نازك بعد عام.. ولتتلمذ الأم على يد الأب فتتعلم وتقرأ كثيراً حتى لا تعود محض ربة بيت وأم لسبعة أطفال (خمس بنات وولدين) .. بل تتعدى ذلك لتغدو شاعرة..

فى هذا الجو.. تولد نازك.. وتكبر .. أب شاعر .. وأم شاعرة وأخوال شعراء (عبد الصاحب الملائكة، أنور الملائكة، د. جميل الملائكة) .. وأيضاً جدة شاعرة..

نازك ترضع الشعر .. وتتغذى من عيون الأدب العربى.. وتنهل من أمهات الكتب فى بيت حيطانه من المكتبات .. وأهله «ملائكة» يقدسون الأدب والعلم والفن والموسيقى والثقافة..

تحظى نازك الابنة المهتمة باهتمام الجميع.. وتحترم آراءهم لينمو بالتدريج احترامها لذاتها وأدبها وفنها...

وحينما كانت نازك شابة فى عشرينيات عمرها، شاء حظ الأم أن تصاب بمرض عضال.. فتكون نازك رفيقتها إلى انجلترا للعلاج .. وتغادر الأم دار الفناء.. لتجد نازك نفسها كإبنة بارة.. تجمع

قصائد الأم وتطبعها فى كتاب.. ليكون ديوان «أنشودة المجد» لـ «أم نزار الملائكة» .. الوالدة.. باقة ورد من وفاء على قبر فى ضاحية انجليزية..

نازك المرأة:

نازك المرأة التى تنتمى لتلك الأسرة العريقة الملائكية الأخلاق.. تلبس ثوب القديسة .. وتنذر روحها وجسدها لحبيب أوحد هو : الشعر.. فتزهد بأنوثتها .. وتكرس نفسها للحبيب..

وإذ أن للملائكة رومانسية العالم السحرى ، فإن للثورة فيهم جزءاً لا يستهان به..

ولكن المرأة/ الأنثى فى نازك لا تثور على الجاهز من التقاليد الاجتماعية الصارمة .. بل تثور المرأة/ الشاعرة على الجاهز من تقاليد الشعر الفحولية الصارمة!

ولأنها امرأة ، رغم كل شىء، جاءت ثورتها أكثر جدية وإصرارا.. فقد كبر الهم النسوى ليتحول إلى هم أدبى ، مدفوع بتقديس للإبداع .. واحترام للأفكار التجديدية.. وإخلاص حقيقى لمعنى كلمة ثورة!

التجديد:

من رحم التراث العربى الأصيل الذى تعقد نازك قرانه على الأدب الانجليزى الذى كانت تدرسه فى «دار المعلمين العالية» ببغداد .. تولد أواخر عام ١٩٤٧ قصيدة الكوليرا.. منذ ديوانها الأول «عاشقة الليل» .. تنبأت الأوساط الأدبية بميلاد شاعرة كبيرة ومنذ ديوانها الثانى «شظايا ورماد» تتنبأ الأوساط الشعرية بميلاد ثورة وعالم جديد.. هذا الديوان الذى عضدته نازك/ الناقدة بمقدمة كانت بشهادة الكثيرين أهم وأشد دوياً من مقدمة وليم ووردز وورث فى تنظيره لحركة الرومانسيين الانجليز..

نازك: طالبة مجدة:

هى لا تعرف إلا أن تكون الأولى.. فهى الأولى دائماً فى المدرسة، والأولى فى الجامعة (الأولى فى العائلة).. وأيضاً.. بل الأهم.. الأولى فى الريادة!

أمريكا.. جامعة «وسكنسن» ، حيث حطت نازك حقائبها وأوراقها لدراسة الماجستير فى الأدب المقارن.. فتنال الدرجة مع مرتبة الشرف، وتهم بالتقديم لدراسة الدكتوراه لتجد أحد أساتذتها يقف حائلا دون ذلك ويثنيها عن استكمال دراساتها بشدة محاولاً إقناعها بشتى الطرق:

- يا سيدتى الشاعرة، ستفقدين جوهرة الشعر إذا بقيت مصرة على استكمال دراستك .. دعى لفطريتك تحليقها وعودى بها إلى وطنك!

وكانت نازك مصرة أول الأمر:

- ولكن يا أستاذ هذا مستحيل .. كيف أعود بلا دكتوراه؟

لقد كنت الأولى في كل مراحل حياتي الدراسية، فكيف أترك الدراسة؟ فيقول لها الأستاذ المخلص بحماس:

- بالتأكيد كنت الأولى في المدرسة.. وكثير كانوا كذلك لكنك الأولى في الشعر وهذا هو الأهم.. وقلة قليلة هم مثلك!

عودي لشعرك وإبداعك .. وستمنحك الجامعات ذات يوم شهادات دكتوراه فخرية لن ينالها إلا من هم مثلك.

وتصدق نبوءة الأستاذ.. بعد سنين من هذا الحديث .. وتمنح نازك شهادات دكتوراه فخرية من عدد من الجامعات العراقية والعربية.. وتنالها نازك .. بجدارة!

تعود نازك إلى وطنها ..وجوهرة الشعرفيها تبقى براقة لامعة تعكس سطوع الملائكة..

ولا تقف الطالبة المجدة عند حد، رغم كل شيء .. تحب الموسيقى وتهوى العود.. فتقرر دراسته في معهد الفنون الجميلة.. وتغوص في بحر المقامات .. تحب الموسيقى الكلاسيكية.. فتصر أن تسبر غورها بالبحث والدراسة، تحب الأدب الأغريقي واليوناني.. فتدرس اللغة اللاتينية! تحب الأدب الفرنسي فتقرر قراءته بلغته، والترجمة عنه. تعشق عبد الوهاب.. فتحفظ عن ظهر حب كل ما تفوهت به حنجرته الذهبية!.. نازك لا تكاد تهوى شيئاً إلا وسبرت غورة وغاصت فيه!

نازك .. الأستاذة الحازمة:

جديتها كطالبة منحتها فرصة أن تكون الأستاذة الصارمة.. عميدة كلية آداب البصرة.. وأستاذة الشعر التي يهابها الجميع.. طيبة حنونة لكنها غضوبة لا تتهاون مع الكسالى والمستسهلين!..

غيورة على لغتها وإرثها وموسيقى الشعر الذي تدرسه! لم تكن تحابي أو تجامل على حساب العلم أو المعرفة..

الرهافة والصرامة : بهاتين الكلمتين قد نقع على مفتاح نازك .. عيناها الثاقبتان كانتا تغوصان إلى أعماق من - أو ما - تريد النظر إليه!

أما الاعتداد بالنفس والتواضع، فهما صنوان في روحها لا يفترقان..

نازك : المرأة/ الأم

في سنها الثامنة والثلاثين.. وبعد أن رسخت جذورها الشعرية والثورية في أعماق تربة الذائقة

الشعرية العربية.. تجد نازك نفسها متعلقة بأحد أساتذتها .. وتقرر ان تمنح للأنثى فى روحها بعض السكينة..

وترتبط «نازك الملائكة» بالرباط الأبدى مع الدكتور «عبد الهادى محبوبة» مؤسس ورئيس جامعة البصرة.. وبعد عام، فى مستشفى السامرائى ببغداد تجد نازك نفسها قد أصبحت أماً.. بعد سنين طوال من تبنيها لطفولة الشعر والنقد والثورة!!

وقد كانت - وهى بعد بنت صغيرة - قد تبنت بعضاً من أطفال العائلة مراهنة على أن من الممكن جداً أن تنشىء جيلاً من المثقفين الواعين بالمثابرة على توجيههم وإثراء روح الفضول لديهم للعلم والمعرفة.

وكانت - وهى بعد شابة صغيرة وراهبة فى محراب الشعر - قد تبنت العشرات بل المئات من الطلبة الذين أثرتهم بعلمها فى جامعتى البصرة والكويت..

لكنها.. وهى على أعتاب الأربعين من عمرها.. تصبح أماً بحق! فراحت نازك تسبر غور أدب الأطفال لترضى وليدها الوحيد «البراق» .. فكتبت له الأغانى والأناشيد والقصص .. ترجمت له حكايات الشعوب، وغنت له على العود ما جادت به قريحة المبدعة..

نازك الأم الحقيقية، وأورثت ابنها فضول المعرفة وحب الأدب والقراءة والموسيقى .. وغرست فى روحه بذرة الثقافة.

أول الغربة:

بعد انقلاب تموز ١٩٦٨ فى العراق تعرضت نازك الملائكة وزوجها إلى مضايقات وضغوط حدث بهما إلى ترك العراق والذهاب للعمل فى التدريس بجامعة الكويت..

وتمكث نازك وأسرتها عشرين عاماً فى الكويت لكنها لا تنسى بلدها الأم.. فتدأب على زيارته كل عام.. تمر بأهله تسلم على دجلته وفراته.. تزور الأهل وتعود الأصدقاء وزملاء المهنة والشعر.. تحضر المؤتمرات وتساهم فى المهرجانات، فهى لم تترك وطنها العراق إلا مرغمة.. ولا تكاد تغيب عنه بعض الوقت إلا لتعود إليه.

نازك المترجمة:

لن يفوتنى وأنا أمر بسيرة الشاعرة وبعرض سريع لمنجزها أن أشير إلى هذه المبدعة بصفتها مترجمة.. فوفقاً لدراسات وبحوث فى الأدب المقارن، تصنف نازك لتكون من أفضل مترجمى الشعر إلى العربية، رغم قلة ما قدمته فى هذا المجال.. وتحضرنى فى هذا المقام دراسة قام بها

الدكتور سلمان الواسطى (أستاذ الأدب الانجليزى فى الجامعة المستنصرية) ، حينما أشار إلى ترجمات نازك للأدب الانجليزى، ومضى فى تحليل ترجمتها لقصيدة «مرثية فى مقبرة ريفية» للشاعر الانجليزى «توماس غراى» .. مؤكداً أنها - نظراً لثقافتها العالية فى اللغتين المترجم منها والمترجم إليها - فإنها من القلائل الذين برعوا فى هذا المجال .. فقد كانت حريصة على الحفاظ على روح النص الأصلى ومخلصة له وللغته مع حرصها على اللغة العربية التى ترجمت إليها .. وهذا هو أصعب ما فى ترجمة الشعر فجاء النص وكأنه مكتوب بالعربية الخالصة.. من دون المساس بروح الشاعر الانجليزى.. أو دونما خسارة للفحوى أو الروح فى النقل!

العودة إلى الوطن:

مع انتهاء الحرب الدامية بين العراق وإيران، تكون نازك قد لملمت أرجاء بيتها الذى بلغ عامة العشرين فى الكويت .. ووضعت فى الحقائب أوراقها وكتبها وورقة التقاعد من الجامعة هناك.. عائدة إلى حضن بيتها الدافىء فى بغداد أواسط عام ١٩٨٩.

فتستقر قليلاً ذاتها المتفائلة بنهاية الحرب.. بعد أن كان التفاؤل قد خدع ببريقه بعض الوقت معظم العراقيين الذين تتوق أرواحهم للسلام.

فهل كانت فى صدر نازك نبوءة تشى بدمار الكويت، فاختارت العودة قبل الكارثة؟! لا أحد يمكنه أن يجيب على هذا السؤال إلا الملائكة! ولم يكد يمر عام واحد إلا وتدق حرب الكويت طبولها ومدافعها على رؤوس البيوت الآمنة..

العزلة:

وفى هذا الوقت بالذات.. كانت نازك قد ابتدأت باختيارها عزلتها .. لم تكن بعد قد عزلت نفسها عن الحياة الاجتماعية لكنها آثرت عزلة إعلامية أولاً.. فكانت ترفض مقابلة أى صحفى أو إعلامى.. وترفض أى ظهورر لها على التليفزيون أو فى الراديو.. وامتنعت عن نشر أى مقال أو قصيدة.. ولم تشارك فى ندوة أو امسية أو مهرجان .. ولم تكن تحضر أى تجمع أدبى.

لكنها لم تكف عن الكتابة رغم كل شىء، وانكفأت على إنجاز كتابها «سايكولوجيا الشعر» الذى طبعته فى بغداد عام ١٩٩٣ عن دار الشئون الثقافية العامة. وهو كتاب نقدى مهم بلاشك. ومنذ ذلك الحين ، بدأت تلاحقها الإشاعات.. وكانت نازك غالباً ما تبتسم وترد بصوت ملائكى هادئ:

وأهتف يا نار قلبى الغريب
وموج أحاسيسى الثائرة

إذا اتهموا، فلماذا أجيب؟

بغير ابتسامتى الساخرة؟

الأردن

ست سنوات فقط كانت المدة التى شاء قدر نازك ان تقضيها فى وطنها، عند مسقط رأسها ووسط أهلها فى العراق.. لكن ثقل الحصار الذى حط أوزاره فوق صدور العراقيين عزلة وهماً حال دون هذا البقاء.

فتشد الشاعرة رحالها من جديد إلى محطة أخرى هى الأردن عام ١٩٩٥، حيث تلتقى بولدها الوحيد البراق عائداً من الولايات المتحدة وبين يديه شهادة الدكتوراه فى الأدب الانجليزى .. فليتم شمل الأسرة لعام واحد فى هذه المحطة بين استقرارين!

من خبر العيش على ضفة نهر أو شاطئ بحر، لا يمكنه أن يطيل البقاء فى مدينة بلا ماء.. مثل عمان!!وقد ولدت نازك على إحدى ضفاف دجلة، ونشأت وترعرت فى بغداد التى يشطر هذا النهر الخالد كرخها عن رصافتها .. وحينما عملت فى جامعة البصرة، كان شط العرب مدى نازك الرحيب، وبديلها الحميم عن دجلة الذى تبغه بعد ذلك الخليج العربى عندما عاشت فى الكويت.

لذا فلن نتعجب أن تعتبر الراحلة عمان محطة توصلها إلى شط حميم، طالما زارته وأحبته وغنته وكتبت عنه.. فكان النيل ملاذها الأخير.

هل تراجعت نازك عن ثورتها؟!

بقى أن نمر على ذلك ولو مرور الكرام.. رغم أننا مهما قلنا فلا اظننا يمكن أن نفى هذه المبدعة المتفردة حقها.. فهى مرهفة الحس، صادقة صارمة حتى مع نفسها .. لم تحاب ولم تساوم ، وحتى حينما ذهب الكثيرون إلى القول إنها تراجعت عن ثورتها الشعرية، فلابد لنا من إجابة ولو سريعة بالقول إنها لم تتراجع .. بل لقد كانت غيورة على تراثها، تخاف عليه من الطارئين والمستسهلين ، وقد عمدت إلى تقديم شرح عميق ومفصل عن هذه الحركة الشعرية الجديدة.. التى قالت عنها بأنها : «إذا كانت تفى غرضاً أو سواه فى الشعر فأنها لن تفى شعرنا كل أغراضه، فهى اختارت لثورتها نصف البحور الشعرية .. وخافت على نصفها الثانى من الضياع!!! لقد كتبت بصدق ووضوح: أما أن تندثر أغراض الشعر القديم.. أو أن تندثر حركة الشعر الحر!

نازك الملائكة لم تكن محض مغامرة، لقد كانت من ذلك النوع الفريد من المبدعين المنذورين

للفن والإبداع، ولذا فقد كانت فى غاية الحذر والالتزام حتى وهى ثائرة!

القاهرة.. الملاذ الأخير

النيل كان ملاذها الأخير.. حطت على ضفته رحالها ذات صيف من عام ١٩٩٦، وبقيت تناجيه ويناجيها حتى غادرت دار الفناء، وشاء القدر ان يوارى جثمانها الثرى على مبعدة كيلو مترات من هذا النهر الخالد.

وتنام الشاعرة نومتها الأبدية، فى مدافن ٦ اكتوبر عند قبر زوجها المرحوم الدكتور عبد الهادى محبوبة.. كما أوصت ان تنام .. بعد أن استبدت بها العزلة حينما فارقها الزوج - الحبيب، فعاشت بعده سبع سنوات رافضة لقاء أى أحد إلا بعض أفراد من عائلتها.

فهل أبعدتها عن العالم ظروف العراق؟

وهل أن مرهفة الحس قد اكتوت برحيل المجد عن أمتها؟

أم انها آثرت الصمت ذهباً من أبلغ القصائد احتجاجاً على عالم ظل يجتاحه السواد؟

فقررت أن تمسحه بملائكيتها البيضاء، وارخت كل السدول على عوالم أرضية فانية، وطارت مع الملائكة إلى البعيد.. تاركة وراءها المجد والخلود.. وأجيالاً من الأدباء والشعراء والأساتذة الذين لم يتتلمذوا على يديها فعلاً، فقد تعلموا عبر منجزها وكتبها ومقالاتها، أو انهم تبعوها حتى دون أن يكونوا عارفين بمن سن قبلهم هذه السنة الحسنة! أو أنهم قرأوا أو حفظوا أو رددوا تفاعيل قلبها ورفرفة أجنحتها الملائكية!

الوداع

فى العاشرة والنصف من مساء الأربعاء ٢٠٠٧/٧/٢٠ فى ردهة العناية المركزة لمستشفى السنابل فى حدائق القية.. كنت أقبل جبينها الحانى بعيد رحيل روحها بدقائق.. وقلت لها ملء روحى:

«نامى بحفظ الله أيتها الجميلة»

فمثلك لاتغيب.. ولن تغيب

نامى بحفظ الله.. أيتها الرسولة

ريم قيس كبة

مر القطار

الليل ممتد السكون إلى المدى
لا شيء يقطعه سوى صوت بليد
لحمامة حيرى وكلب ينبح النجم البعيد،
والساعة البلهاء تلتهم الغدا
وهناك فى بعض الجهات
مر القطار .
عجلاته غزلت رجاءً بت أنتظر النهار
من أجله .. مر القطار
وخبا بعيداً فى السكون
خلف التلال النائيات
لم يبق فى نفسى سوى رجعَ وهُون
وأنا أحدق فى النجوم الحالمات
أتخيل العربات والصف الطويل
من ساهرين ومتعبين
أتخيل الليل الثقيل
فى أعين سئمت وجوه الراكبين
فى ضوء مصباح القطار الباهتِ
سئمت مراقبة الظلام الصامتِ
أتصور الضجر المرير
فى أنفس ملت وأتعبها الصفير
هى والحقائب فى انتظار
هى والحقائب تحت أكداس الغبار
تغفو دقائق ثم يوقظها القطار
ويطل بعض الراكبين
متثائباً، نعسان، فى كسل يحدق فى القفار
ويعود ينظر فى وجوه الآخرين

فى أوجه الغرباء يجمعهم قطار
ويكاد يغفو ثم يسمع فى شرود
صوتاً يغمغم فى برود
،هذى العقارب لا تسيرا
كم مر من هذا المساء؟ متى الوصول؟،
وتدق ساعته ثلاثاً فى ذهول
وهنا يقاطعه الصفير
ويلوح مصباح الخفير
ويلوح ضوء محطة عبر المساء
إذ ذاك يتئد القطار المجهدُ
... وفتى هنالك فى انطواء
يأبى الرقاد ولم يزل يتنهدُ
سهران يرتقب النجوم
فى مقلتيه برودة خط الوجوم
أطرافها .. فى وجهه لون غريب
ألقت عليه حرارة الأحلام آثار احمرار
شفتاه فى شبه افترار
عن شبه حلم يفرش الليل الجديب
بخفيف أجنحة خفيات اللحون
عيناه فى شبه انطباق
وكأنها تخشى فرار أشعة خلف الجفون
او أن ترى شيئاً مقيتاً لا يطاق
هذا الفتى الضجر الحزين
عبثاً يحاول أن يرى فى الآخرين
شيئاً سوى اللغز القديم
والقصة الكبرى التى سئم الوجود
أبطالها وفصولها ومضى يراقب فى برود
تكرارها البالى السقيم

هذا الفتى...
وتمر أقدام الخفير
ويطل وجه عابس خلف الزجاج
وجه الخفير!
ويهز فى يده السراج
فيرى الوجوه المتعبة
والنائمين وهم جلوس فى القطار
والأعين المترقبة
فى كل جفن صرخة باسم النهار،
وتضيع أقدام الخفير الساهرِ
خلف الظلام الراكدِ

مر القطار وضاع فى قلب القفار
وبقيت وحدى أسأل الليل الشرود
عن شاعرى ومتى يعود؟
ومتى يجئ به القطار؟
أتراه مر به الخفير
ورآه لم يعبأ به.. كالآخرين
ومضى يسير
هو والسراج ويفحصان الراكبين
وأنا هنا مازلت أرقب فى انتظار
وأود لو جاء القطار..

١٩٤٨

مرثية يوم تافه

لاحت الظلمة فى الأفق السحيقِ
وانتهى اليوم الغريبُ
ومضت أصداؤه نحو كهوف الذكريات
وغداً تمضى كما كانت حياتى
شفة ظمأى وكوبُ
عكست أعماقه لونَ الرحيقِ
وإذا ما لمسته شفتايا
لم تجد من لذة الذكرى بقايا
لم تجد حتى بقايا

انتهى اليوم الغريبُ
انتهى وانتحبت حتى الذنوبُ
وبكت حتى حماقاتى التى سميتها
ذكرياتى
انتهى لم يبقَ فى كفىَّ منه
غير ذكرى نغم يصرخ فى أعماق ذاتى
رائيا كفى التى افرغتها
من حياتى، وادكاراتى، ويومٍ من شبابى
ضاع فى وادى السرابِ
فى الضبابِ.

كان يوماً من حياتى
ضائعاً ألقيته دون اضطرابِ
فوق أشلاء شبابى
عند تل الذكرياتِ
فوق آلاف من الساعات تاهت فى الضبابِ

فى متاهات الليالى الغابراتِ.

كانت يوماً تافهاً، كان غريبا
أن تدق الساعة الكسلى وتحصى لحظاتى
إنه لم يك يوماً من حياتى
إنه قد كان تحقيقاً رهيبا
لبقايا لعنة الذكرى التى مزقتها
هى والكأس التى حطمتها
عند قبر الأمل الميت، خلف السنواتِ،
خلف ذاتى
كان يوماً تافهاً.. حتى المساءِ
مرت الساعات فى شبه بكاءِ
كلها حتى المساء
عندما أيقظ سمعى صوتُه
صوته الحلو الذى ضيعتهُ
عندما أحدقت الظلمة بالأفق الرهيبِ
وامّحت حتى بقايا أملى، حتى ذنوبى
وامحّى صوت حبيبى
حملت أصداءه كف الغروبِ
لمكان غاب عن أعين قلبى
غاب لم تبق سوى الذكرى وحبى
وصدى يوم غريبِ
كشحوبى
عبثاً أضرع أن يرجع لى صوت حبيبى

١٩٤٨

أنا

الليل يسأل من انا
أنا سِرّة القلق العميق الأسودُ
أنا صمته المتمردُ
قنّعت كنهى بالسكون
ولففت قلبى بالظنون
وبقيت ساهمة هنا
أرنو وتسألنى القرون
أنا من أكون؟

والريح تسأل من أنا
أنا روحها الحيران أنكرنى الزمان
أنا مثلها فى لا مكان
نبقى نسير ولا انتهاء
نبقى نمر ولا بقاء
فإذا بلغنا المنحنى
خلناه خاتمة الشقاء
فإذا فضاء!
والدهر يسأل من انا
أنا مثله جبارة أطوى عصور
وأعود أمنحها النشور
أنا أخلق الماضى البعيد
من فتنة الأمل الرغيد
وأعود أدفنه أنا
لأصوغ لى أمساً جديد
غده جليد



والذات تسأل من أنا
أنا مثلها حيرى أحدق فى ظلام
لا شىء يمنحنى السلام
ابقى اسائل والجواب
سيظل يحجبه سراب
وأظل أحسبه دنا
فإذا وصلت إليه ذاب
وخبا وغاب

١٩٤٨

الكوليرا

سكن الليل
اصغ إلى وقع صدى الأنات
فى عمق الظلمة ، تحت الصمت، على الأموات
صرخات تعلو، تضطربُ
حزن يتدفق ، يلتهبُ
يتعثر فيه صدى الآهات
فى كل فؤاد غليانُ
فى الكوخ الساكن أحزانُ
فى كل مكان روح تصرخ فى الظلمات
فى كل مكان يبكى صوتْ
هذا ما قد مزقه الموتْ
الموت، الموت، الموتْ
يا حزن النيل الصارخ مما فعل الموتْ

طلع الفجر
اصغ إلى وقع خطى الماشين
فى صمت الفجر، اصخ، انظر ركب الباكين
عشرة أموات، عشرونا
لا تحصِ أصخ للباكينا
اسمع صوت الطفل المسكين
موتى، موتى، ضاع العددُ
موتى، موتى، لم يبقى غدُ
فى كل مكان جسد يندبه محزون
لا لحظة إخلاد لا صمتْ
هذا ما فعلت كف الموتْ
الموت، الموت، الموتْ

تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموتْ
الكوليرا
فى كهف الرعب مع الأشلاء
فى صمت الأبد القاسى حيث الموت دواء
استيقظ داء الكوليرا
حقداً يتدفق موتورا
هبط الوادى المرح الوضاء
يصرخ مضطرباً مجنونا
لا يسمع صوت الباكينا
فى كل مكان خلّف مخلبه أصداء
فى كوخ الفلاحة فى البيتْ
لا شئ سوى صرخات الموتْ
الموت، الموت، الموتْ
فى شخص الكوليرا القاسى ينتقم الموتْ

الصمت مرير
لا شئ سوى رجع التكبير
حتى حفار القبر ثوى لم يبق نصير
الجامع مات مؤذنه
الميت من سيؤبنه
لم يبق سوى نوح وزفير
الطفل بلا أم وأبِ
يبكى من قلب ملتهبِ
وغداً لا شك سيلقفه الداء الشرير
يا شبح الهيضة ما أبقيتْ
لا شئ سوى أحزان الموتْ
الموت، الموت، الموتْ
يا مصر شعورى مزقه ما فعل الموتْ

١٩٤٧

الخيط المشدود فى شجرة السرو

فى سواد الشارع المظلم والصمت الأصم
حيث لا لون سوى لون الدياجى المدلهم
حيث يرخى شجر الدفلى أساه
فوق وجه الأرض ظلا،
قصة حدثنى صوت بها ثم اضمحلا
وتلاشت فى الدياجى شفتاه

-٢-

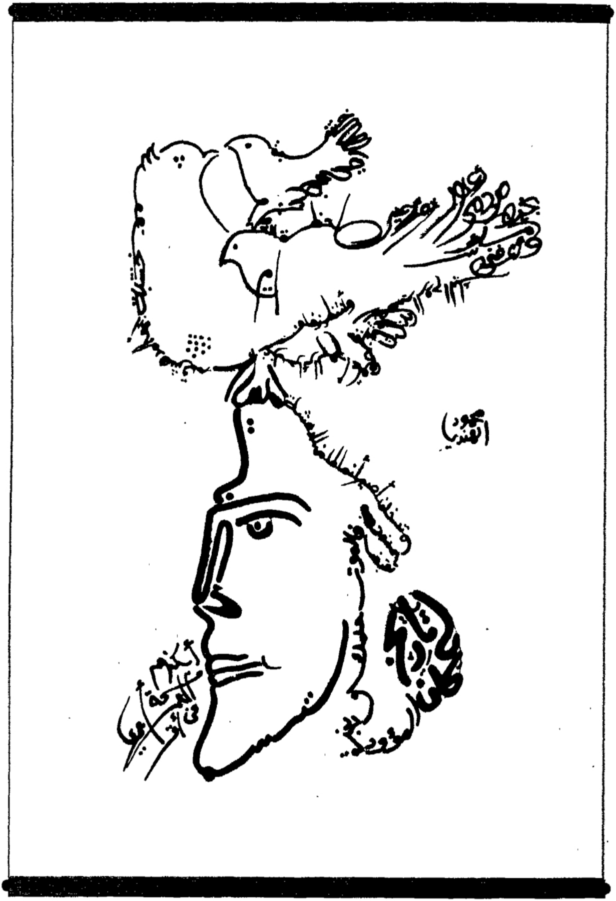
قصة الحب الذى يحسبه قلبك ماتا
وهو مازال انفجاراً وحياه
وغداً يعصرك الشوق إليا
وتناديني فتعيَى،
تضغط الذكرى على صدرك عبئا
من جنون، ثم لا تلمس شيئا
أى شىء، حلم لفظ رقيقُ
أى شىء، ويناديك الطريقُ
فتفيقُ،
ويراك الليل فى الدرب وحيدا
نسأل الأمس البعيدا
أن يعودا
ويراك الشارع الحالم والدفلى، تسير
لون عينيك انفعال وحبورُ
وعلى وجهك حب وشعورُ
كل ما فى عمق اعماقك مرسوم هناك
وأنا نفسى أراك

من مكانى الداكن الساجى البعيد
وأرى الحلم السعيد
خلف عينيك ينادينى كسيرا
... وترى البيت أخيرا
بيتنا، حيث التقينا
عندما كان هوانا ذلك الطفل الغريرا
لونه فى شفتينا
وارتعاشات صباه فى يدينا

-٣-

وترى البيت فتبقى لحظة دون حراك:
«ها هو البيت كما كان، هناك
لم يزل تحجبه الدفلى ويحنو
فوقه النارنج والسرو الأغنُّ
وهنا مجلسنا..
ماذا أحسُّ؟
حيرة فى عمق أعماقى ، وهمسُ
ونذير يتحدى حلم قلبى
ربما كانت.. ولكن فيم رعبى؟
هى مازالت على عهد هوانا
هى مازالت حنانا
وستلقانى تحاياها كما كنا قديما
وستلقانى...»
وتمشى مطمئناً هادئا
فى الممر المظلم الساكن، تمشى هازئا
بهتاف الهاجس المنذر بالوهم الكذوبِ:
«ها أنا عدت وقد فارقت أكداس ذنوبى
ها أنا ألمح عينيك تطلّ

ربما كنت وراء الباب، أو يخفيك ظلُّ
ها أنا عدت، وهذا السلّمُ
هو ذا الباب العميق اللون، مالى أحجمُ؟
لحظة ثم أراها
لحظة ثم أعى وقع خطاها
ليكن.. فلأطرق الباب..،
وتمضى لحظات
ويصر الباب فى صوت كئيب النبرات
وترى فى ظلمة الدهليز وجهاً شاحبا
جامداً يعكس ظلاً غاربا:
،هل..؟، ويخبو صوتك المبحوح فى نبر حزين
لا تقولى إنها..،
،يا للجنون!
أيها الحالم، عمن تسألُ؟
إنها ماتت،
وتمضى لحظتان
أنت مازلت كأن لم تسمع الصوت المثير
جامداً، ترمق أطراف المكان
شارداً، طرفك مشدود إلى خيط صغير
شُدّ فى السروة لا تدرى متى؟
ولماذا؟ فهو ما كان هناك
منذ شهرين ، وكادت شفتاك
تسأل الأخت عن الخيط الصغير
ولماذا علقوه؟ ومتى؟
ويرت الصوت فى سمعك :،ماتت..،
،إنها ماتت..، وترنو فى برودٍ
فترى الخيط حبالاً من جليدِ
عقدتها أذرع غابت ووارتها المنون



منذ آلاف القرون
وترى الوجه الحزين
ضخّمته سحب الرعب على عينيك «ماتت..»

-٤-

هى «ماتت..» لفظة من دون معنى
وصدى مطرقة جوفاء يعلو ثم يفنى
ليس يعنيك تواليه الرتيب
كل ما تبصره الآن هو الخيط العجيب
أتراها هى شدته؟ ويعلو
ذلك الصوت المملُ
صوت «ماتت» داوياً، لا يضمحلُ
يملأ الليل صراخاً ودويا
«إنها ماتت» صدى يهمسه الصوت مليا
وهتاف رددته الظلمات
ورونه شجرات السرو فى صوت عميقِ
إنها «ماتت» وهذا ما تقول العاصفات
«إنها ماتت» صدى يصرخ فى النجم السحيقِ
وتكاد الآن أن تسمعه خلف العروقِ

-٥-

صوت ماتت رنَّ فى كل مكانِ
هذه المطرقة الجوفاء فى سمع الزمانِ
صوت «ماتت» خانق كالأفعوانِ
كل حرف عصبٌ يلهث فى صدرك رعبا
ورؤى مشنقة حمراء لا تملك قلبا
وتجنّى مخلب مختلج ينهش نهشا
وصدى صوت جحيمى أجشا

هذه المطرقة الجوفاء: «ماتت»
هى ماتت، وخلا العالم منها
وسدىً ما تسأل الظلمة عنها
وسدىً تصغى إلى وقع خطاها
وسدىً تبحث عنها فى القمر
وسدىً تحلم يوماً أن تراها
فى مكان غير أقباء الذكَرَ
إنها غابت وراء الأنجمِ
واستحالت ومضة من حلمِ.

-٦-

ثم ها أنت هنا، دون حراك
متعباً، توشك أن تنهار فى أرض الممر
طرفك الحائر مشدود هناك
عند خيط شد فى السروة، يطوى ألف سر
ذلك الخيط الغريب
ذلك اللغز المريب
إنه كل بقايا حبك الذاوى الكئيب.

-٧-

ويراك الليل تمشى عائدا
فى يديك الخيط، والرعشة، والعِرق المدوّى.
«إنها ماتت..» وتمضى شاردا
عابثاً بالخيط تطويه وتلوى
حول إبهامك أخراه، فلا شىء سواه،
كل ما أبقى لك الحب العميقُ
هو هذا الخيط واللفظ الصفيقُ
لفظ «ماتت» وانطوى كل هتاف ما عداه

١٩٤٨

مرثية امرأة لا قيمة لها
«صور من زقاق بغدادى»

ذهبت ولم يشحب لها خد ولم ترجف شفاه
لم تسمع الأبواب قصة موتها تروى وتروى
لم ترتفع استار نافذة تسيل اسى وشجوا
لتتابع التابوت بالتحديق حتى لا تراه
إلا بقية هيكل فى الدروب ترعشه الذكر
نبأ تعثر فى الدروب فلم يجد مأوى صداه
فأولى إلى النسيان فى بعض الحفر
يرثى كآبتَه القمر.

والليل أسلم نفسه دون اهتمام، للصباح
وأتى الضياء بصوت بائعة الحليب وبالصيام،
بمواء قط جائع لم تبق منه سوى عظام،
بمشاجرات البائعين، وبالمرارة والكفاح،
بتراشق الصبيان بالأحجار فى عرض الطريق،
بمسارب الماء الملوث فى الأزقة، بالرياح،
تلهو بأبواب السطوح بلا رفيقْ
فى شبه نسيان عميقْ.

١٩٤٢/٧/٩

صلاة الأشباح

تملمت الساعة البارده
على البرج، فى الظلمة الخامده
ومدت يداً من نحاس
يداً كالأساطير بوذا يحركها فى احتراس
يد الرجل المنتصبْ
على ساعة البرج، فى صمته السرمدىّ
يحدق فى وجمة المكتئبْ
وتقذف عيناه سيل الظلام الدجىّ
على القلعة الراقدة
على الميتين الذين عيونهمُ لا تموت
تظل تحدق ، ينطق فيها السكوت
وقالت يد الرجل المنتصب:
«صلاة، صلاة!»

ودبت حياه
هناك على البرج، فى الحرس المتعبين
فساروا يجرون فوق الثرى فى أناه
ظلالهم الحانيات التى عقفتها السنين
ظلالهمُ فى الظلام العميق الحزين
وعادت يد الرجل المنتصبْ
تشير: «صلاة صلاه!»
فيمتزج الصوت بالضجة الداويه،
صدى موكب الحرس المقتربْ
يدق على كل باب ويصرخ بالنائمين
فيبرز من كل باب شبح

هزيل شحبْ
يجر رماد السنينَ،
يكاد الدجى ينتحب
على وجهه الجمجمىّ الحزين

وسار هنالك موكبهم فى سكون
يدبون فى الطرقات الغريبة، لا يدركون
لماذا يسيرون؟ ماذا عسى أن يكون؟
تلوت حواليهمُ ظلمات الدروب
أفاعىَ زاحفة ونيوب
وساروا يجرون أسرارهم فى شحوب
وتهمس أصواتهم بنشيد رهيب،
نشيد الذين عيونهمُ لا تموت،
نشيد لذاك الإله العجيب
وأغنية ليد الرجل المنتصبْ
على البرج كالعنكبوت
يد من نحاس
يحركها فى احتراس
فترسل صيحتها فى الدياجى
«صلاة صلاه»

وفى آخر الموكب الشبحى المخيف
رأى حارس شبحين
يسيران لا يدركان متى كان ذاك وأين؟
تحز الرياح ذراعيهما فى الظلام الكثيف
ومازال فى الشبحين بقايا حياه
ولكن عينيهما فى انطفاء .
ولفظ «صلاة صلاه»

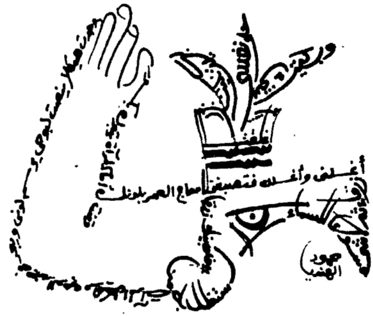
يضج بسمعيهما فى ظلام المساء
«ألست ترى»
«خذهما!»
ثم ساد السكون العميق
ولم يبق من شبح فى الطريق

وفى المعبد البرهمىّ الكبير
وحيث الغموض المثير
«وحيث غرابة بوذا تلف المكان
يصلى الذين عيونهمُ لا تموت
ويرقبهم ذلك العنكبوت
على البرج مستغرقاً فى سكوت»
فيرتفع الصوت ضخماً، عميق الصدى، كالزمانْ
ويرتجف الشبحانْ

من القلعة الرطبة البارده
ومن ظلمات البيوت
ومن الشّرف المارده
ومن البرج، حيث يد العنكبوت
تشير لنا فى سكوت
من الطرقات التى تعلك الظلمة الصامته
أتيناك نسحب أسرارنا الباهته
أتيناك، نحن عبيد الزمان
وأسراه نحن الذين عيونهمُ لا تموت
أتينا نجرّ الهوان
ونسألك الصفح عن هذه الأعين المذنبه
ترسّب فى عمق أعماقها كل حزن السنين
وصوت ضمائرنا المتعبه

أجشٍّ رهيب الرنين
أتيناك يا من يذر السهاد
على أعين المذنبين
على أعين الهاربين
إلى أمسهم ليلوذوا هناك بتل رماد
من الغد ذى الأعين الخضر، يا من نراه
صباح مساء يسوق الزمان
يحدق، عيناه لا تغفوان
وكفاه مطويتان
على ألف سر، أتينا تمرغ هذى الجباه
على أرض معبده فى خشوع
نناديه، دون دموع،
ونصرخ: آه!
تعبنا فدعنا ننام
فلا نسمع الصوت يهتف فينا: «صلاه!»
إذا دقت الساعة الثانيه،
ولا يطرق الحرس الكالحون
على كل باب بأيديهم الباليه
وقد أكلتها القرون
ولم تبق منها سوى كومة من عظام
تعبنا .. فدعنا ننام..
ننام، وننسى يد الرجل العنكبوت
عل ساحة البرج، تنثر فوق البيوت
تعاويذَ لعنتها الحاقده
حنانك بوذا، على الأعين الساهده
ودعها أخيراً تموت

وفى المعبد البرهميِّ الكبير



تحرك بوذا المثير
ومد ذراعيه للشبحين
يبارك رأسيهما المتعبين
ويصرخ بالحرس الأشقياء
وبالرجل المنتصبْ
على البرج فى كبرياء،
«أعيدوهما»
ثم لف السكون المكانْ
،ولم يبق إلا المساء،
وبوذا، ووجه الزمانْ

١٩٤٩

شمس للقاهرة

« زارت الشاعرة مدينة القاهرة فى شهر آب ١٩٧٣

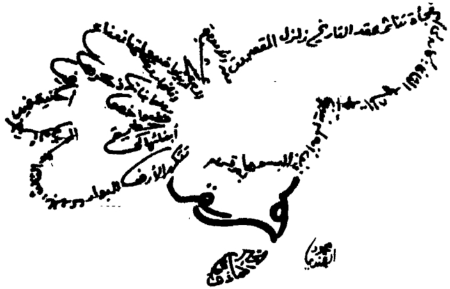
وحيتها بهذه القصيدة وكان ذلك قبل حرب رمضان».

تحية يا قاهره!
يا ومضة الكواكب المسافره
يا عشة الحمام، يا مأوى الطيور الصافره
يا نعسة الجمال فى هدب العيون الفاتره
حييّت يا سيف صلاح الدين
يا صخرة الصمود، يا أرض الفدائيين
يا أرق اللهيب، يا سهد القلوب الصابره
يا مجد هذى الأرض، يا محبرة التاريخ، يا دفاتره
يا موجة عذراء قرآنيةً،
تلطم شطآن القرون الهادره
يا مطراً من مقلتى تشرين
يا عنقاً ممدوداً وفوقه سكين
تنتحر السكين
وأنت تبقين لنا يا قاهره
غيمة حب ماطره
تبلل الصحراء تهمى مطراً من سكر وتين
تحية للقاهرة
باقة حب ضفرتها شاعره
ونغمة تمطر ثلجاً لرمال تحت شمس صاهره
تحية للنيل، نهر الخصب والسلام
لمعبد مسهد، سهران لا ينام
للأزهر العتيق، للأهرام
لرمل سيناء التى تهيم فى أودية الظلام
تحت الأكف الجامحات الماكره

فلتصبرى يا قاهره
يا بجعة مع النسيم طافره
الضوء قد أسدل فوق عشها ستائره
والنيل قد وسدها ضفائره

مهمومةٌ يا قاهرة
محلولة الشعر على الأرصفة المهدومه
كطفلة جائعة محرومه
حزينة حزن الليالى الماطره
فلتعلمى يا قاهره
أن العدو حربه مقامَره
وظله غيمة صيف عابره
وحكمه فى تل ابيب قلعة موهومة تسير لانهدام
قابعة تحلم، كالخفاش، بالأنقاض والظلام
فجرَ غد فى أرضها تزغرد الألغام
نخرج من قماقم الأوهام
نسلح النيام
نقلّم المخلب والمؤامره
نسقيك من جدب الصحارى لبناً يا قاهره

فجر غد، تقاتل الأقصر والأهرام
وينهض النيل إلى انتقام
ويغضب الأزهر، يستنهض فى نقمته منائره
تثور فيه حلقات الدرس والأوراق والأقلام
سينهض الحق من المسلخ جبار اليدين
ساقياً من دمهم أظافره
يطردهم ويغسل الوهاد والآكام
من درن القافلة الوحشية الأقدام



ويومها تطلع شمس عذبة للقاهرة
وغصة لنكسنٍ وسائر السماسره
ويومها يكون الابتسام
وينبت السلام
فى حقلنا كرومَه، أعلامه، بيادَره
يعود للعش ضياء الأنجم الحزينة المهاجره
وبعد طول السهد
ترتاح على النيل عيون ساهره
وترجعين طفلة ضاحكة الأحلام
يا قاهره!
يا قاهره
وتسدلين شعرك الطويل موسيقى وضحكاً
تحت هدب نجمة مسامره
وتصبح السكين ذكرى غابره
بعيدة، مطمورة، ممسوحَة
وراء بحر اللانهايات
وخلفَ الذاكره

١٩٧٣/٨/٣

اشتباك

جوائز وجنائز

عيد عبد الحليم

عودتنا جوائز الدولة - منذ إنشائها فى منتصف القرن الماضى على لغة المفارقة والأسئلة الممزوجة بعلامتى التساؤل والتعجب، فكثيرون ممن يحصلون عليها ليسوا فى حسبان الحركة الفكرية والثقافية فى شىء، وكثيرون ممن لم يحصلوا عليها كانوا عصب الحياة الفكرية وروادها وحين يحصل من يستحق على الجائزة - بمسمياتها المختلفة - نقول لقد أخطأت الجائزة ،ويعلونا التعجب، وهكذا.

وإذا كان عدد - لا بأس به - من الفائزين قد أثلج صدورنا جميعاً هذا العام. إلا أنه تبقى - هناك علامة تعجب كبيرة - بحجم مبنى المجلس الأعلى للثقافة - وربما بحجم مبنى وزارة الثقافة بشارع شجرة الدر بالزمالك - حول حجب جائزة الدولة التشجيعية خاصة فى فرع ،القصة القصيرة، رغم تقدم ٢٩ عملاً قصصياً لها بعدما رفعت ،لجنة القصة، تقريرها بأن هذه الأعمال لا ترقى إلى مستوى الجائزة.

مع العلم أن هذه اللجنة - من وجهة نظرى - غير ذات اختصاص - أولاً لأن معظم أعضائها ليسوا كتاباً للقصة، حتى أن رئيس اللجنة ناقد هو ،د. حمدى السكوت، وليس كاتباً للقصة، وكثير من أعضاء اللجنة يحملون ذائقة كلاسيكية لا تقوى على متابعة الإبداع الجديد بتجلياته المختلفة.،

وهنا يتبادر سؤال جوهرى كيف يهلل هؤلاء ويجأرون كثيراً بأن هذا الزمن هو زمن السرد والقصة والرواية، وتخرج هذه الأشكال فارغة اليدين من ،مولد الجوائز.

كذلك الحال بالنسبة للجنة الشعر التى اختارت شخصاً لم ينشر قصيدة من قبل ولم نقرأ له حرفاً واحداً ليحصل على الجائزة التشجيعية - يا للمهزلة - فى الشعر، بعد أن وضعت هذه اللجنة - بين قوسين ،الموقرة، شرطاً مجحفاً أشبه بـ ،شروط المرأة الكارهة، كما يقال فى العبارات الدراجة فى ريف مصر، وهو أن يكون الديوان المقدم عمودياً، وكأننا نعود - مرة أخرى - إلى العصر الحجرى، ربما احتاج بعض أعضاء لجنة الشعر إلى بعض الحصى والأحجار ليقذفوا بها شعراء قصيدة النثر الملاعين - الذين دعت عليهم أمهاتهم فى ليلة سوده بأن لا يحصلوا على جائزة وإن لا ينشر لهم فى السلاسل الرسمية - مادامت لجنة الشعر توزع بطاقات التموين على كل من هب ودب، وتظن أنها تملك ،رصاصة الرحمة، للمخالفين لها، ونسى أعضاءها أن الأيام تدور ونسوا أنهم وقفوا - ذات يوم - نفس الموقف فغضبوا ، فهل يحتملون غضبة الشعراء، وهل يحتملون شهادة التاريخ عليهم، بأنهم يريدون إخماد وهج التجريب ويأبى الشعر إلا أن يكمل دورته فى الحياة - وهو بكل تأكيد من خلال روح التجريب - قادر عليها.

فليهنأ سدنة الشعر بالكراسى الجلدية وسفريات وزارة الثقافة، وليهنأ الشعراء بدواوينهم التى اقتطعوا ثمن نشرها من قوت أولادهم فللشعر عاشوا، وبالشعر عاشوا.

ترجمة

سبب للحب

للكاتبة الإسبانية: فانى روبيو

ترجمة: د. طلعت شاهين

مدريد فى ١٧ يونيو ١٩٩٥
معامل بالتيس، مكتب المدير
السيد رايموندو بينادا
شاع بوينتى سان خيل رقم ٢٧، الدور الرابع يسار
مدريد ٢٨٠٣٤

سيدنا المحترم:

كمدير عام لشركة معمل بالتيس، موكل بإبلاغك بأن السيدة زوجتك «إلينا بياوروتيا»، الموظفة الفنية بمقر هذه الشركة، تم التنبيه عليها مرات عديدة بالحضور إلى مكتبى بشكل عاجل لشرح أسباب تخلفها عن الالتحاق بعملها الموكلة به بعد فترة سفرها الذى قامت به إلى العاصمة صنعاء لأسباب تجارية. وأود إبلاغك هذا الطلب كتابة نظرا إلى عدم الاستجابة إلى الاتصالات التليفونية التى أجرتها منسقة العمل فى المؤسسة على عنوانكم الخاص.

وفى انتظار ردكم

مع وافر الاحترام

رفائيل سالينا

مدير معامل بالتيس، مدريد

•••

١٧ يونيو ١٩٩٥

فاكس من سكرتارية التنسيق بمعامل بالتيس - مدريد

إلى السيدة/ إلينا بياوروتيا،مدريد، فاكس رقم ٣٩٤٦٤٩٩.

خيديسا.

لعناية السيد/ رايموندو بينادا

صديقتى المحترمة

أريد أن أخبرك عبر فاكس مكتب السيد زوجك إننا حاولنا مرات عديدة الاتصال بحضرتك أو بأى فرد من العائلة لمعرفة أسباب عدم عودتك إلى العاصمة بعد توقيع الاتفاقيات التجارية لمعامل بالتيس مع اليمن. ومع ذلك ، فإن جميع جهودنا فشلت بسبب رد خادمة منزلكم التى كانت ترد على مكالمتنا الهاتفية بقولها: «السيدة بياوروتيا لم تعد إلى إسبانيا وأن أفراد أسرتها (يكادون لا يتواجدون فى البيت أبدا) وإنهم غير منزعجين لغيابك بشكل خاص، وإنهم اتصلوا بها يوم ١٤ تليفونيا وأنها بحالة صحية جيدة، ولكنها قررت ، فيما يبدو لأسباب مهنية تأجيل عودتها إلى مدريد فى اللحظات الأخيرة». وبالاتصال بمكتب صنعاء، ابدوا لنا أن «السيدة بياوروتيا، بعد توقيعها على الاتفاقيات من خلال السفارة التى ترعى مصالحنا (لعدم وجود سفارة لإسبانيا فى اليمن) قررت إلغاء سفرها إلى مدريد، حيث كان من المقرر أن تصل عبر باريس يوم ١٣ نفسه، وأنها خلافا لذلك استقلت طائرة متجهة إلى عدن يوم ١٥، عاصمة الجنوب التى كانت حتى وقت قريب تسمى اليمن الديمقراطية». ونظراً لخطورة الطريق بالنسبة لسيدة بلا حراسة ولم تطلب من رؤسائها الإذن بهذا التأخير بعد إنهاء عملها، كان يجب أن نخبركم أنه بأمر من مديرنا، أن الشركة لا يمكنها أن تكون مسئولة عما يمكن أن يحدث لها بعد ذلك وإنه على أية حال، فى حال عدم حضورها فى أسرع وقت للقيام بواجبات الوظيفة وشرح أسباب تأخيرها، فإن ما يمكن أن تقدمه من أعذار سيتم

رفعه إلى اللجنة الدولية لمعامل بالتيس لدراسة هذه الحالة واتخاذ ما تراه من جزاءات بشأنها.

ايفانخلينا جوتيريس

منسقة بمعامل بالتيس/ إسبانيا

•••

مدريد فى ١٩ يونيو ١٩٩٥

السيد/ رايموندو بينادو

بوينتى دى سان خيل رقم ٢٧

مدريد ٢٨٠٣٤

الصديق العزيز رايموندو

ارجو أن توصل على جناح السرعة المذكرة التى اضمنها هذه الرسالة إلى إلينا، أنا - اعتقد أنك تتذكرنى - زميل العمل فى شركة زوجتك وفى حاجة شديدة إلى الاتصال بها، وأنا أتحمل مسئولية اللحظات الرهيبة التى تعيشونها وأعرض على حضرتك وعلى الأسرة بذل ما فى استطاعتى عمله من أجلكم.

شكراً

كارلوس بوتاس

المذكرة المرفقة:

«إلينا»، سيحاول «سالينانس» أن ينتهز فرصة غيابك غير المفهوم ليضع فوق رؤوسنا أحد معارفه ويقول إنه فنى من «يالى»، وأرسل فى طلبه ليحتل مكانك دون أن يطلب رأى أى منا. من فضلك عجلى من عودتك فورا ودعك من الانجذاب إلى الغرابة التى تشاهدينها. ستكون الفرصة سانحة لك للعودة إلى المكان نفسه فى إجازاتك المقبلة، وحدك أو برفقة من تريدين. لقد تلقيت حالا بطاقتك البريدية، بلا طابع بريدى، ومؤرخة بيوم ٦، حيث كنت تعلنين رغبتك فى العودة، فكرى فى أبنائك وفى «بالتيس» أعنى فكرى فى عملك. عودة إلى بطاقتك، عندما شاهدتها فى صندوق بريد البيت

اعتقدت انك فى الأندلس، فصورة البطاقة تشبه كثيرا حى القصبة. عدا ذلك، أمضيت ثلاثة أيام بلا نوم خوفا من المعامل لو انك لم تعودى إلى عملك فورا. ولا انام لأننى أفكر فى أشياء أخرى.. أرسل لك هذه الرسالة من خلال زوجك. وآسف على تدخله فى علاقتنا. ولكن لم تكن أمامى من طريقة أخرى أكثر نجاعة ورقة. مهم جدا - أنت تفهمين أليس كذلك؟- أن تعودى فورا!!. أم أنك عثرت على «نور» حياتك؟ آسف على هذا المعنى الخفى.، أنا حزين.

قبلاتى

كارلوس

•••

مدريد فى ٢٧ من يونيو ١٩٩٥
لعناية انخلينيس اسباداس
للأستاذ الدكتور/ طالب
كلية الفنون. صنعاء. اليمن
من اوروا بينادو بياوروتيا.
شارع تيخيدوريس رقم ٧
٢٨٠١٢ - مدريد

الأستاذ المحترم

أكتب لك عبر صديقة للعائلة، استاذة تاريخ العالم الإسلامى «سارا ستانلى»، التى التقيت انت بها فى جامعة القاهرة خلال العام الدراسى ٧٦ - ٧٧ لأطلب من حضرتك أن تسلم إلى أمى «إلينا بياوروتيا» الرسالة المرفقة فقد سافرت إلى صنعاء يوم ١ يونيو لتوقيع اتفاق تجارى لحساب شركتها معامل «بالتيس»، أجهل عنوانها الحالى وخططها خلال وجودها فى بلدكم وأعتقد أنه يمكن لحضرتك الاتصال بها بسهولة طبقا لما قالته لى السيدة «ستانلى» واعتقد إنكما التقيتما.

أشكر لحضرتك جهودك وأرسل لك بأرق تحياتى

اوروا

ملحوظة:

حدثتنا الأستاذة «ستانلى» عن حضرتك كثيرا ، وقدمت لنا بعض كتبك. يا له من جميل وطنك! لا اندهش كثيراً إن كانت أمى قد عثرت فيه على المعادن المطلوبة لأبحاثها. اعتقد انها ستنتهزها بشكل كبير.

ابعث إلى حضرتك بأرق التحيات.

اورروا بينادو بياوروتيا.

• • •

١ -٥ من يوليو ١٩٩٥

السيد / على أحمد طالب

جامعة صنعاء - كلية الفنون

صنعاء - اليمن

من معهد المعتمد بمدريد

كيف الحال يا سيد / على أحمد؟

هل تمكنت من حل مشاكلك العائلية؟ هل والدك فى صحة جيدة؟ إن شاء الله نلتقى مرة أخرى خلال هذا العام فى القاهرة، فى الاجتماع السنوى للمستشرقين، اكتب لك ببطء حتى يمكننا ان نضع الخطط النهائية، ولكنى أكتب لك اليوم رسالة مرفقة من «اوروا» إلى أمها، التى توجد كما تعرف كفنية تجارية فى زيارة عمل فى اليمن ولم تعد، فيما يبدو، حسب رغبتها. ترى هل شاهدت «إلينا»؟ نود أن نعرف مكانها والاتصال بها بشكل عاجل. يكون جميلا منك أن تسلمها رسالتى وتبعث لى بعنوانها النهائى فى عدن، يبدو أنها تعيش هناك كـ«رامبو القرن العشرين، يخشى الجميع هنا أن يكون بقاؤها هناك لأسباب جنسية، نتيجة ما أشاعته قراءة رواية «الوله التركى» للكاتب «انطونيو جالا» بين الأسبان الذين يعانون مشاكل منتصف العمر الزوجية، الذين كبروا على الاعيب الحب ولايزالون أصغر من أن يلعبوا دور الجدات، وهم الأكثرية فى هذا البلد قليل الإنجاب والمندفع إلى سياسة تبنى الأطفال.

قبلات كثيرة من صديقتك «سارا».

• • •

مدريد فى ١ من يوليو ١٩٩٥

إلى إلينا، من اورو ا بينادو بياوروتيا

أمى:

وصلتنى بطاقتك البريدية وعليها صورة تلك البيوت الغريبة المبنية من الطوب. هل حقيقة تحتمل تلك البيوت البقاء وهى التى تبدو هشة جدا؟ لقد قلت القليل عن قرارك بالبقاء هناك، وإنك اتخذت قرارك على عجل وخلال جلسة «قات» (هكذا تكتب هذه الكلمة اليس كذلك) وهل حقيقة إنه الأمر الوسط ما بين الماريجوانا وأوراق الغار والعرقسوس؟)أما بالنسبة لمعدتك المفضل فإن عمى «اليكس» يقول إنه يمكنك أن ترسلى إليه ببعضه، لقد كان هو من أعطانى كل المعلومات عن ذلك البلد البعيد. قصى على ما الأمر بالضبط كل ما يتعلق بجلسات القات ورغبتك فى البقاء. رغم إنى اعتقد انه متعلق بحوارنا الأخير. لكن هل الأمر مجرد مزحة وإنك ترغبين فى إرعابنا ام أنك التقيت بالشيخ اليمنى المستعد لتأمين حياتك؟ كلنا معك مادام هذا يريحك، هل حقيقة ترغبين فى تركنا لفترة ما؟ حسنا، يا امى بخلاف الخوف الذى تسببت فيه فإنه يجب عليك أن تفكرى بجدية ما يجب عليك أن تفعلى، عندما أخبرتنى يوم الرابع عشر تليفونيا فقد اعتقد أنها مجرد مغامرة، مهما كانت خطورتها ومفاجأتها، فقد كان الأمر اكثر من طاقة احتمال، كنت تبدين واثقة فى المرة الأخيرة التى تحدثنا فيها وقلت لى أنك كنت تودين قضاء «بعض الوقت»، وإنك فى حاجة إلى ذلك اما الآن وبعض مضى بضعة أسابيع من آخر خلاف مع أبى حول علاقته بالسيدة «تريجال»، أنا أعتقد إنه كان خارج نطاق الرحلة العادى فقط لتثبتى أنه مجرد «دخان» شبقى تعلنانه أمام الأصدقاء. وإنه مجرد سباق من تلك التى يطرحونها للخروج من مسار الحياة العادى الممل. يبدو «رامون» الآن غاضبا فما أن يصل البيت حتى يحبس نفسه فى مكتبه حتى منتصف الليل ولا يكف عن الاتصال بأصدقائه من أعضاء السلك الدبلوماسى ليتحدثوا عن الأوضاع فى اليمن وطلب نصيحتهم خلال هذه الأزمة العابرة التى تسببت انت فيها لكن لا تخافى فلا احد يطرح إمكانية تدخل البوليس وإحضارك مقيدة بالسلاسل كما كان يحدث قديما. فى النهاية ، ماما، افعلى ما ترينه الأفضل لك، أنا اثق بك وأتفهم أسبابك. ارسلى لى فورا عنوانك فى عدن أو صنعاء حتى نكون على اتصال. ورقم تليفون يمكننا ان نتصل بك عبره وأعدك إننى لن أخبر أحدا به. اكتبى لى على عنوان «انخلينيس» إذا كنت لا تثقين فى وصول البريد على

عنوان البيت. عندما تعودين، لا تنسى أن تحضرى لى منديلا من الحرير الأسود، من ذلك الذى ترتديه النساء كغطاء رأس لأرتديه خلال وجودى فى مدرسة اللغات . وأيضا «جنبية» لوالد «نينيس» من تلك التى يضعها الرجال، وثمان من الرجال الأثرياء من اولئك الذين تعرفت عليهم، ارجو ان تصلك هذه الرسالة فى أسرع وقت. هل تحتاجين إلى شىء، بعض الكتب، أدوات تجميل، إلخ..؟ حقيقة زملاؤك من ثقلاء الدم فى المعمل لايزالون يسألون عن الاتفاقيات التجارية التى وصلت عبر الحقيقة الدبلوماسية، ولكنهم يريدون معرفة رأيك المباشر وحضورك شخصيا. قبلاتى ، ماما، ولا تستمرى فى اللعبة كثيرا، أثق بك ، وثقى بى.

اورو

•••

مدريد فى ١٤ يوليو ١٩٩٥
فاكس من رايموندو بينادو
إلى سعادة السيد/ الفريدو اندوخار
سفير إسبانيا - باريس
فاكس رقم ٠٧٣٣١٤٥٦٨١٠٠٦

عزيزى الفريدو

كما اتفقنا فى حوارنا ، افعل المستحيل حتى يأتونى بـ «إلينا» التى من المؤكد إنها فقدت عقلها فقد أمضت حياتها كلها تفعل نفس الشىء حتى طريقتى فى الحياة، والآن تصفى حسابها معى عن السنوات العشرين التى أمضيناها فى زواجنا معا، وها أنت ترى العواصف ، أنها نفسها كالبلاد: عشرون عاما للانتقال من حال إلى حال، تقلب البيت رأسا على عقب ، تضعه فى الخدمة وحتى تجعله يستخدم بأسوا ما يمكن وفى النهاية يأتون بشكوى انفجار المياه فيه..

الشخص الذى أعطيتنى اسمه للإتصال به كان متعاونا جدا والآن لم يعد أمامى من أمل سوى الثقة فى القيام بكل ما فى وسعه باليمن، انت لا تعرف صعوبة أن اتمالك نفسى فى أوضاع حساسة كتلك التى تمر بها زوجتى (لو كانت على الأقل فى بلد عادى) ابلغ تحياتى إلى الأصدقاء فى السودان لعرضهم مساعدتى (يا لها من مشكلة عدم وجود قنصلية إسبانية فى تلك الصحراء) لقد تذكرت الآن أن لى صديقاً قديماً

من أصل تركى يعمل فى مينا «موخا» صديق قريب جدا لعديلى ربما يكون موسيقيا صوفيا هذا إذا كان قد تغير منذ آخر مرة شاهدته فيها فى روما وهو يحمل الأكورديون يا إلهى، ربما كان الأمر يتعلق بالجنس أو ما شابه ذلك، من يعلم ما الذى يقدمونه لها لتتناوله! ربما لم يكن مهما البحث فى هذا الأمر ربما عقدنا الأمور أكثر ما هى عليه رغم انى اتذكر أن شقيقك هو من أعطاها عنوان هذا الصديق عندما ودعته، أنا لا اعتقد أنها اهتمت بالاتصال به . اخشى أن تكون قد تعرضت رغما عنها لممارسات شيطانية.. فى النهاية لا اريد أن أعقد الأمور، أقص عليك هذا ربما ليساعدك على طريقة العثور عليها.

وأيضا اعتقد أن صديقة لها «سارا ستانلى» أستاذة تاريخ الإسلام فى معهد يحمل اسم ملك مسلم من اشبيلية لا أذكر اسمه، ودرست فى القاهرة ربما قدمت لها عنوانا آخر لا أعرف عنه شيئاً كما قالت لى، لا أتذكر المسألة تماما لمجرد التفكير افكر فى أنها ربما تكون ضحية لجماعة مهووسة. حقيقة لا أستطيع أن أقول لك ما أفكر فيه، وصحيح أيضا أن «إلينا» بسبب أزمة علاقتنا لا شيء إنه أمر طبيعى كما تعلم فهى على استعداد للانتقام منى، ارجو ألا يستمر الوضع أكثر من اللازم كما حدث فى مرات سابقة، أنا المخطئ واعترف بهذا أمام الله، حسن .. انقل إلى لـ «أوروا» تحياتى وعرفانى بأفضالكما معا لما تفعلانه من أجلى.

رايموندو

●●●

مدريد فى ٢١ يوليو ١٩٩٥
فاكس إلى السيد / رايموندو بينادو
من سعادة السيد/ مدير معامل بالتيس الدولية
(فاكس رقم ٠٠٣٤١٨٩٠٦٦٥٤)
مجموعة شركات خيدسيا.

الصديق العزيز

بعد المحادثة الطويلة التى جرت بيننا، والتى حثنا عليها صديقنا المشترك «الفريدو اندوخار» بمناسبة الوضع الحرج لصحة زوجتكم إضافة إلى مشاكل العمل الأخرى، فإنها قررت أن تمد زيارة العمل التى تقوم بها لليمن لبضعة أيام أخرى، وابلغكم إنه من

خلال هذا القسم تقرر مد هذه الرحلة لمدة ثلاثة أشهر أخرى، والتى ارجو أن تتمكنوا خلالها من حل تلك المشاكل بشكل مرض. والسيد «رفائيل ساليناس، مدير مشروع اليمن - إسبانيا يوافقنى الرأى تماما على هذا. ولذلك ليس ضروريا إرسال رسالة لإبلاغه بذلك. لأنه تم تكليفى أنا شخصياً بشرح الأسباب التى وقعت وتسببت فى تأخير عودة زوجتكم . مما تسبب فى تأخيرها فى العودة إلى العمل فى المعمل. وأنا أعتقد إنه حسب ما قلته حضرتك بأنه نظرا لعدم وجود مكتب دبلوماسى لبلادنا فإننا نرى أنه لابد من سفر أحد أفراد العائلة إلى هناك نظراً للحالة النفسية التى نتجت عما حدث حتى يمكن مرافقتها خلال رحلة العودة أو مساعدتها فى تقرير ذلك.

وننتظر أخباركم وحتى يجد جديد نرجو أن تبلغوا زوجتكم نبأ التصريح الرسمى لها بالبقاء لمدة تسعين يوما ويمكنها خلال تلك الفترة أن تنسى واجباتها المهنية وتهتم بأحوالها الشخصية. مع خالص تحياتنا.

خواكين ديات

رئيس مجلس إدارة معامل بالديس - أوروبا

•••

بطاقة بريدية مرسلة بتاريخ ٢٣ من يوليو ١٩٩٥
من طرف / الفريدو اندوخار
عبر السفارة الإسبانية فى باريس
إلى / رايموندو بينادو فى خيديسا.

صديقى رايموندو

كان لطيفا أن نستعيد ما عشناه خلال فترة زمالة الدراسة. ومن لا يحن إلى تلك الأيام؟ إنهم يعملون قدر طاقتهم حسب ما أرى، من داخل نطاق العمل نفسه، وأرى إنه يمكنهم المساعدة فى هذه الحالة الإنسانية. يا له من زميل مخلص «خوسيه مارتى، كما كان خلال الامتحانات هل تذكر؟ نهايته.. تحيات حارة وارجو أن يتحمل حل تلك الأزمة سريعا، وهذا ما اعتقده، ففى كل المشاكل هناك بعض الخسائر، يا زميلى، وأنا اقف خلفك بكل ما املك.

١٠١.

•••

مدريد فى ٢٥ يوليو ١٩٩٥
السيدة/ إلينا بياوروتيا
عن طريق السيد/ طالب
جامعة صنعاء
كلية الفنون - صنعاء - اليمن
من السيدة / زوجة السيد تريجال
شارع سيرانو رقم ٢٢

عزيزتى إلينا

اكتب إليك هذه الكلمات وانا متأكدة اننى كنت جزءا من الأسباب التى أدت إلى هذه المشاكل. فى الحقيقة أنا أحب زوجى وتلك الصورة التى التقطت لى مع «رايموندو» ما هى إلا مسألة بلهاء. أطلب منك العفو وارجو ان تعودى . «رايموندو» يحبك وانا متأكدة انك سيدة حياته الوحيدة أبعث إليك بتحياتى.

تونى
زوجة تريجال

•••

إلى إلينا بياورتيا
من كارلوس بوتاس
بالتيس/ مدريد
عن طريق السيد/ طالب
جامعة صنعاء
كلية الفنون

إلينا:

إننى فى حاجة إلى ان تعودى انا على استعداد للانفصال من زوجتى لو كانت هذه رغبتك. ان اترك إسبانيا، ان اترك العالم كله لأذهب خلفك. انا لا اصدق ما يؤكده

الجميع. إنك لا تفكرين فى العودة بعد الجحيم الذى مررت به، والذى خضناه معا خلال الأشهر الأخيرة. انا لا استطيع العيش بدونك - ولا يهمنى أن يعرف زوجك هذا ولا الفضيحة التى يسببها لى. انا اعرف إنه كان مريحا لى ان أعيش حكاية جميلة خلال العمل معك وبعدها لم أكن اهتم بما يحدث لكنى أصبحت مختنقا بالرومانتيكية. لو كان الأمر يحتاج فإننى على استعداد للذهاب والعيش معك وهذا ليس مجرد كلام وهمى، لا تعذبينى بإنهاء تلك الحكاية الجميلة إننى افكر فيك عبر كل هذه الكيلو مترات إضافة إلى اننى غير مقتنع بحكاية انهماكك فى العمل، اغفرى لى إن كنت أقول لك إنه مجرد علاج بالانشغال. انت تعلمين كثيرا لأنك مهمومة وهذا اتفهمه جيدا وأريد أن ابذل كل جهدى لتجنب هذا، أحبك، يدهشك هذا، افتقدك، سأتبعك حتى نهاية العالم.

كارلوس

•••

عدن فى ٢٩ يوليو ١٩٩٥

السيد / رايموندو بينادو

تليفاكس ٣٣٣٥٥٥٥

عن طريق الدفع المسبق لحساب خيديسا

من إلينا بياوروتيا.

فندق شيراتون - عدن ١٣١٢

راى، توقف من فضلك عن مطاردتى. انا فى حالة لاتتصورها بعد ان فكرت كثيرا قبل اتخاذ قرارى وبعد أن أمضيت نصف حياتى دون أن أتمكن من البوح به ولا حتى تنفيذ هذا القرار. لقد سئمت وأنا أفكر فى ترك حياتى الزوجية من رجل مهم لمدى الحياة، لقد سئمت سماع الحوارات عن مباريات ريال مدريد، وحفلات العشاء الكئيبة كل يوم جمعة فى بيت ،خافيير ديل باليى وريبيتيسا، وحضور حفلات الافتتاح من مقعد فى الصف السابع (مهما كانت أهمية ذلك) فى المسرح الإسبانى. وحفلات العشاء مع ذلك القطيع من رجال المال ،المتعاصرين، وسياسيى الموجة الجديدة دون ان اتمكن من التفرغ لأحجارى، وأن أمارس مهنتى، والحصول على انواع من الأحجار الأصيلة من مواطنها

الفارسية. أنا لست على استعداد لترك أى من أحجار الكوارتز التى حصلت عليها مقابل اى من نضالاتك الوطنية، مع تلك السيدة «تريجال» فى مكتبك ومكالماتها التليفونية الهامسة لسيدة من طبقة منحطة وأنا اتسمعك وانت تبدو كتلميذ يلصق اذنه إلى التليفون. أما عن خططى يمكننى أن أخبرك بالقليل، لأننى لا أعرف بعد ما الذى سأفعله هنا سأبقى هنا حتى سبتمبر على الأقل لأفكر فى حياته لآخر مرة، وهذا يمنحنى قوة لا تتخيلها. ارجو الا تفكر فى إرسال أى شخص من شركتك ليتجسس على فى الطريق ولا اى من أصدقائك فى السلك الدبلوماسى ولا الصليب الأحمر لأننى ساعتها سألجأ إلى منظمة العفو الدولية أو منظمات حقوق الإنسان. انزعاجك من أجلى يشعرنى بالاشمئزاز فى هذا البلد «البربرى» الذى يمكنه أن يلقن بلادنا المسمومة بالحروب والمؤامرات والتطلعات البائسة، ويخيم عليها الجهل الإجرامى، دروسا فى النقاء، وأنت، متسلق الحداثة، فقد فعلت بـ«خيديسا» وببتك ما اردت بملء إرادتك، لذلك أنت لا تملك الحق فى أن تطلب منى العودة أنت المقنع بقناع الحمل لا أعرفك واهددك وأتحداك. دعنى ابحث عن سلام نفسى. عليك أن تهتم بـ«خيديسا» واسمح لـ «اوروا» أن تتحدث مع أبوى مباشرة لتخبرهم عن حالتى وخططى. إلى اللقاء.

اعانقك.

إلينا

(مرفق رسالة لأبنائى)

أعزائى «اوروا» و«ليو»

بعد أن تحدثت معكما تليفونيا لا أعتقد أن لدى أشياء مهمة يمكننى ان اطلعكما عليها ارجو أن استطيع ذلك بعد إن انتهى من البقاء الحقيقى هنا لننتظر ما يحدث لكنى اعتقد أننى فى حاجة إلى بعض الوقت فى مكان بعيد (تخيلا هذا، أمام شواطئ إثيوبيا) حيث على أن ابدأ من الصفر وهو ما يمكن أن يكون صحيا جدا.

حاولا أن يقوم أحد بتهدئة حيات «بالتيس» لدى الحق فى البقاء هنا إضافة إلى الأجازة. إضافة إلى إننى بعثت الاتفاقيات فى الحقيبة الدبلوماسية. إذ لم يتمكن «ساليناس» من حل هذه المسألة فهذا سيكون لأنه ببساطة يريد أن يثير حنقى وينتهز الفرصة ليضع أحد أزنابه مكانى.

سأحاول الحصول على مكان للعمل على المظاهر الجيولوجية خلال هذا الصيف

بالقرب من مكان يمكنني من إقامة معمل. عندها سأكتب في الحال لكل منكما رسالة طويلة جدا. الشيء الوحيد الذي أريد أن أخبركما به الآن هو: لقد عثرت في اليمن كما تعرفان على مكان يقع بالقرب من الجنة، إنه حجر «كاوث»، زاوية الأرض، الذي كنت ابحث عنه خلال نصف حياتي ولم أعثر عليه أبدا في العمل فكان على أن اقنع بكل الأنواع التي تقربني منه، كما يحدث مع الأشخاص الذي يحلمون . أنتما تعرفان السبب، والآن، ليهتم كل منكما بعمله. لا تنزعجا واعتادا على إنه يجب أن أحقق جزءا من ذاتي، حتى لو كان في عمري هذا. لكما كل إعزاز أمكما.

إلينا

●●●

صنعاء في ٣٠ من يوليو ١٩٩٥

إلى سارا ستانلي

موارتين ١٤ الطابق الثاني يسار

٢٨٠١٢ - مدريد

من أ.أ.طالب

جامعة صنعاء

كلية الفنون

صنعاء اليمن

عزيزتي «سارا»

فقط أرسل لك هذه الكلمات لأشكرك لأنني استطعت أن أعرف أخبارك، حتى لو كان السبب في هذا شخص وموضوع متضمنين في هذه الرسالة، عندما التقينا في القاهرة تحدثنا بهدوء، والآن سأحاول أن اتحدث مباشرة عن ذلك الموضوع الذي يزعجك ويزعج أصدقائك.

ربما لن تصدقي فإن «إلينا بياوروتيا» عثرت على شيء كانت تبحث عنه منذ زمن بعيد: إنه حجرها «كاوث» إنه نوع غريب من الأحجار كان معروفا في القرون الوسطى. أرجوك يا «سارا» ألا تفكري بأشياء سيئة عن صديقتنا، وحجر «كاوث» ليس شخصا يمنيا قوي البنيان وملئ بالشعر في صدره أؤكد لك هذا، مهما كان ما يحدث مع الإسبان في عمر



محمود
الهندي

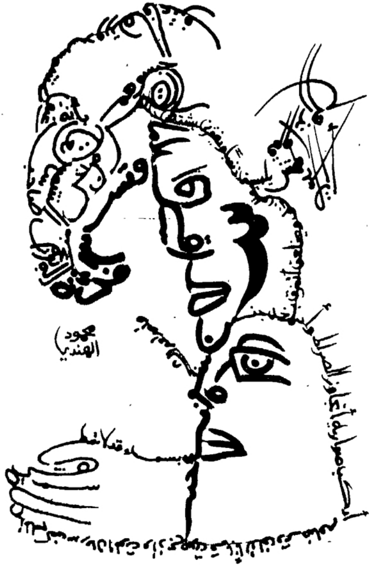
«إلينا» خلال مرورهم بمرحلة منتصف العمر من انفصال ومحاولة بناء الحياة التى حلموا بها، بل أؤكد لك انها عثرت على حجر من الزجاج الملحى والبارد الذى يطرد الكوابيس، والذكريات الأليمة، والإحساس بالاشمئزاز والجفاف خاصة عند النساء اللواتى مررن بحكايات مشابهة لتلك التى مرت بها هى. لقد جربته مع نفسها فى أول ليلة أمضتها هنا وأنا كنت شاهدا على تحولات حالتها. لقد عثرت عليه تحت برج مبنى من الطوب فى وسط المدينة القديمة بعد أن اضطرت إلى عبور النهر الذى يمر على حافتها، وهو أمر مفهوم. وضعته بعد منتصف الليل تحت مخدتها (إنه على شكل وبحجم اللوزة ويقبل التحول إلى هذا الشكل) ووضعت حافته المدببة باتجاه الخارج وكانت ذبذباته وراء اتخاذها أهم قرار فى حياتها دون تأثير خارجى: أن تكون هى لأول مرة فى حياتها وأن تعثر على صوتها فى عزلتها. سأقص عليك الباقى فى الرسالة القادمة لكن حتى ذلك الوقت أقول لك أن صديقك «إلينا» أمامها حياة لم تنتبه إلى أنها تمتلكها، فقط لمحة واحدة، فقد كانت صنعاء المكان واللحظة اللتين تقاطعتا مع أول محاولة لما ستكون عليه حياتها المستقبلية. ربما يكون هناك بعض الأشخاص الذين ليسوا فى حاجة إلى الهروب بعيدا عن روتين حياتهم ليعثروا على أنفسهم. ولكن هناك آخرين فى حاجة إلى صدمة خاصة، وهم فى حاجة إلى الابتعاد فقط، ليروا الآخر فى المرآة أن يروا فى المرآة الغريب، أن يروا وجوههم الحقيقية. و«إلينا»، بفضل العثور على حجر «كاوث» توقفت لتتأمل فى هدوء، لكل هذا أرجو منك أن تعلنى لهذه المجموعة المزعجة التى تملأ صندوق بريدى بالرسائل المختلفة الموجهة إلى «إلينا بياوروتيا» أن يوفروا بكاءهم ودعواتهم لاحتفالتهم العائلية العزيزة، وألا يسألوا عن أى شىء حتى ليلة الاحتفال بعيد «القديسين الأبرياء» فى تلك الليلة التى سأقدمها لهم فيها، وهذا آخر أمر أصدرته لى تلك المرآة الجميلة المرتعبة. كان الله فى عونكم وعوننا.

صديقك..

على أحمد طالب

هوامش

١ - الكاتبة الإسبانية فانى روائية وشاعرة وكاتبة قصة إضافة إلى ممارستها النقد فى الصحافة الأدبية وتقوم بتدريسه بالجامعة حيث تعمل أستاذة لفقه اللغة بجامعة كومبلوتنسى بمدريد، وتتولى حاليا منصب مدير معهد ثرفانتيس فى روما بايطاليا،



وقد صدرت لها أعمال عديدةً منها روايات: ملح الشيكولاته ١٩٩٢، الإله النائم ١٩٩٥، ابن الهواء ١٩٩٨، وهذه القصة كتبتها خلال زيارتها لليمن عام ١٩٩٥ للمشاركة فى الملتقى الشعرى العربى الإسبانى الأول فى صنعاء، وصدرت فى كتاب: نيران شتائية تحت كبارى مدريد ٢٠٠٦.

٢- حجر كريم له مفعول سحرى على حركة الجسد وذكره الفونسو العاشر فى كتابه Lapidario medioval""

الذى استقت الكاتبة اسم الحجر منه.

رؤيـــة

رؤية حضارية للدين
أحد مكونات المشروع الثقافى الوطنى

أبو العز الحريرى

يدور حوار عن مد سياسى لمذهبيات سياسية تنسب نفسها للأديان خاصة الدين الإسلامى وتهبط بالوحى المقدس إلى ساحة الصراعات السياسية والمصالح الاقتصادية والاجتماعية المتعارضة فتحول الدين إلى سياسة، وترفع السياسة إلى مرتبة الدين الوحى المقدس.

بداية - فإن المد والجذر ينصب على موقف المذهبيين، لأن الدين ثابت والمتغير هم البشر وظروف الحياة ومتطلباتها واليسار يدرك جوهر رسالات السماء فى التوحيد والنماء والعدالة والمساواة، بقدر امتلاكه رؤى علمية تجعل تحقيق ذلك ممكنا ويرى أن ضمان عدم الانحراف بالجانب الدعوى الدينى يوجب تولى الأزهر والأوقاف والكنيسة فى الديانة المسيحية، مهام الدعوة، تعبيراً عن إرادة الأمة ورؤيتها المذهبية الوسطية للدين (التفقه فى الدين).

المواطنة

أساس كل الحريات والحقوق والواجبات بالاتساق معها تستمد الرؤى مشروعيتها، فالمواطنة علاقة بين الفرد والدولة، يحددها قانون الدولة وبما تتضمنه العلاقة من واجبات وحقوق متبادلة فكل الرؤى تنبع منها وتصب فيها فهى وحدة الانتماء والولاء من قبل كل المصريين على اختلاف تنوعهم الدينى والمذهبى. وتذيب كل خلافاتهم

واختلافاتهم عند حدود المشاركة والتعاون فى بناء مصر وتنميتها والحفاظ على العيش المشترك فيها.

فالمواطنة هى المساواة القانونية والواقعية الكاملة لجميع المواطنين فى إدارة شئون المجتمع والتمتع بما فيه من حقوق وأداء ما يفرض من واجبات دون تمييز بسبب النوع أو الدين أو اللون أو العرق أو الوضع الطبقى فهى تدور حول قيم.. المساواة والمشاركة والحرية والمسئولية.

فى ظلها يمتلك المواطن حقوقا غير قابلة للأخذ او الاعتداء عليها من الدولة، أو من اغلبية لو قاربت الإجماع المستحيل، إنها حقوق مدنية تتعلق بالمساواة مع الآخرين وحقوق سياسية تتعلق بالمشاركة فى اتخاذ القرار السياسى وحقوق ترتبط بالشئون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، هى تأكيد الحق الفردى لكل أبناء الوطن فى تقرير مصير الوطن والتمتع بكل خيراته فى الداخل والخارج والدفاع عنه.. هى حق شخصى لا تجوز الإنابة فيه لأى سبب.

المهام الأساسية للسياسة والسياسيين

تركزت فى التحرر الوطنى والاقتصادى والاجتماعى، تحقيقاً للتنمية والعدالة والمساواة، وهى قضية ركزت عليها رسالات السماء كقضية تاركة للناس اختيار أساليب تحقيقها. ولعل التساؤل تمتد جذوره إلى قرن مضى حيث استخدم الفقه أو المذهبية بمعنى تأويل النص الدينى خارج سياقه.. للتحكم فى البشر مما عطل الحياة وزاد من المظالم باسم الدين. تجسد ذلك فى أوروبا قبل نهضتها التى بدأت بالإصلاح الدينى بإبعاد تحكم رجال الدين فى أمور الحياة. وبالتحول من النظام الإقطاعى للنظام الرأسمالى. بالمظالم الإنسانية التى صاحبته ودفعت بالكثيرين من المستنيرين ورجال الدين لتحديد مضمون الاستغلال وسبل مواجهته. ونشوء اليسار تعبيراً عن مصالح الأغلبية الشعبية ونمو المعارف والعلوم الإنسانية والتطبيقية.

الديمقراطية والعلمانية

تستهدفان تخليص الدين من المنافسات والصراعات البشرية والمصالح النسبية، وفى نفس الوقت تخليص المنافسة والصراعات البشرية والمصالح النسبية المتغيرة من تحكم

أصحاب المذاهب الفقهية، لتكون المنافسات والصراعات أكثر فاعلية وأقل حدة وأوسع مشاركة من الجميع وتحقق التعددية والعقلانية والديمقراطية، الديمقراطية هى الوسيلة التى تدار بها المجتمعات فكل نظام ديمقراطى هو بالضرورة نظام علمانى. وليس كل نظام علمانى ديمقراطى بالضرورة. فالعلمانية تعددية وتتنوع عقلاً فى الرؤى والأفكار. ديمقراطية فى إدارة التنوع والخلاف بما يؤدى إلى التسامح والتعايش والنسبية فى العلاقات بين البشر وبوسع مجالات التماس والتواصل والخطاب المشترك مع الآخرين إنطلاقاً من عقلانية الرؤى والأفكار إيماناً بنسبية الحقيقة وحاجة كل منا للآخر إقراراً بأن الناس متنوعين متباينين فى القدرات والمشاعر والأفكار والمصالح، بما يبعد المجتمع عن العنف والحقد والضغينة لتحقيق التقدم والرخاء.

والهدف العام: أياً كانت نسبية وتنوع الرؤى للعلمانية والديمقراطية، هو تحرر الإنسان المصرى وتمكينه بالتعددية والتنوع الخلاق الذى يثرى النسيج المصرى، ويمتعه بنعمة العقل دون قيود تضيق نشاطه وإبداعاته متحصناً بالديمقراطية كوسيلة، اثبتت التجربة الإنسانية نجاحها فى إدارة الاختلاف واتخاذ القرار، والتحرر من سلطة الماضى فى الوقت نفسه خبرات الماضى والتعامل مع كل الماضى، والخبرات البشرية للمعرفة والعظمة دون الاتباع الأعمى بذلك نتمكن من تقديم رؤية مستقبلية يستفاد فيها من سمات العصر ومقدراته استعادة لدورنا فى صنع الحضارية الإنسانية.

عالمية المرجعيات، الأخلاقية، والعلمية

عالمية المرجعية الأخلاقية: تمثل الأديان، الإسلامية بالنسبة للمسلمين والمسيحية للمسيحيين واليهودية لليهود.. إلخ جانبا أساسيا فى المرجعية الأخلاقية، وبقدر توحد المرجعيات الثلاث فى التوحيد الإيمانى، فإنها تتكامل فى الأخلاقيات البشرية، بقدر التقارب فى المصالح وتبادل الخبرات والمصير المشترك، والتفاعل الطويل المدى للحضارات الإنسانية، وصولا إلى مفاهيمها وصياغاتها الحالية، ومواثيق وقوانين موحدة عالمياً مواثيق الأمم المتحدة وعهودها واتفاقياتها ومنظماتها والاتفاقات الدولية الثنائية والجماعية والإقليمية ومنظمات الشعوب، فأصبحت المرجعية الأخلاقية العالمية أمراً واقعاً يتزايد بإسهامات البشرية بالحذف والإضافة.

وعالمية المرجعية العلمية ترتبط خبرات الحياة وعلومها الإنسانية والتطبيقية بسعى

الإنسان أياً كان موطنه ومعتقده للتكامل بشرى.. وبكونها نتاج البشر فهى عالمية لا تنتمى إلى موطن أو دين أو عرق.. تكونت من حضارات فرعونية، إغريقية، يونانية، صينية، رومانية، مسيحية، إسلامية، أوروبية جامعة.. تتزايد إندماجاً لتكون حضارة عالمية.. متكاملة التكوين الأخلاقى والعلمى وهى بعالميتها أساس للنمو والتقدم والعدالة والمساواة الإنسانية فى مواجهة عولمة تستهدف تمكين الاستعمار والاحتكار من الهيمنة على الشعوب الأقل تقدماً وحرية وتحرراً.

ومن الخطأ أن يوضع العلم نقيضاً للدين فلكل مجاله، الدين هداية وعبادة وتوحيد، والعلم الإنسانى والتطبيقى وسيلة البشر لجعل الحياة افضل. والعلمانية تعنى استخدام العلم وخبرات الحياة التى صاغتها الشعوب فى علومها ومعارفها الهائلة فى مواثيق الأمم المتحدة واتفاقياتها وعهودها والإدارة المشتركة للعالم التى تتزايد يوما بعد يوم لتصبح أكثر خيراً للمتقدمين وقارب النجاة للأقل تقدماً وفى الوقت نفسه استبعاد تحكم المذهبيات فى الحياة باسم الدين.

مفاهيم مغلوطة

الدولة الدينية، مصطلح وهمى مخادع منسوب خطأ للإسلام أو المسيحية أو اليهودية وهو مرادف لمصطلح الإسلام هو الحل، أو المرجعية الدينية بديلا للعلم فى شئون الحياة البعض تحمس للمصطلحات مع أن الدولة الدينية أى التى تنظمها السماء بشكل مباشر لم ولن تقوم فى التاريخ فالوحى للأنبياء بخصوص الدين والبشر ينظمون دولتهم دراية بأمور زمانهم ومكانهم فى تشابك مع الآخرين الدول الأخرى، والدول تنسب للبشر من مؤسسيها ومنظميها وتأخذ الصفة الاقتصادية والاجتماعية التى تبنى عليها رأسمالية، اشتراكية بجانب مسحتها، ديمقراطية، استبدادية، نازية، فاشية أو مذهبية بما فيها الدول التى تحكم فيها أرباب المذاهب الدينية (المتفقهين بالصح أو الخطأ فى الدين) الذين مارسوا التحكم البشرى فى الشعوب. خطأ باسم الدين، فالدولة نظام يضعه البشر، والأزمة الأخيرة نتجت عن أخطاء وخطايا أصحاب المذاهب، والفقه الدينى وهنا تبرز أهمية التجديد .

.. يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (يبعث الله على رأس كل قرن من يجدد للأمة دينها، أى رؤاها الفقهية للدين بما يصحح الفهم للإنسان مع صحيح الدين ويبعده

عن الهبوط إلى ساحة السياسة أو أن يرفع السياسة إلى قدسية الدين الوحى.. والإبعاد هنا ينصب على تحكم أصحاب المذاهب، دون إبعاد التوجهات والمقاصد الكلية للدين، كأحد مكونات الثقافة الكلية للناس الذين هم أعلم بأمور دنياهم، بحصيلة العلم النسبى المتجدد، ثمرة الخبرة البشرية المتجددة المتداخلة إنه فقه الحياة، علم عالمى.. ليس إسلامى أو مسيحى .. إنه وسيلة لحل مشاكل الزراعة والصناعة والعلاج والإسكان والتجارة.. إلخ. والأخذ بالعلم ضرورة حياة وواجب دينى فالدين بغير العلم أعمى والعلم بغير الدين أعرج العلم يطلب من المهد إلى اللحد ولو فى الصين ومداد العلماء اثقل وزناً عند الله من دم الشهداء.

مفاهيم ومغالطات

جماعة الإخوان السياسيين.. هى جماعة سياسية، أى حزب سياسى انصبت مساعيها الحقيقية على الممارسة السياسية التى تهتم بإدارة عموم الوطن، السياسات والبرامج العامة والمحلية والنوعية زراعة، صناعة، تعليم لحل مشاكل الناس بهدف أن تستقطب الظالمين والمظلومين فتوحدت مع الطبقة الحاكمة قبل الثورة وبعد فترة الثورة حيث توحدت مع السادات ومبارك وواصلت عداءها للأغلبية الشعبية والقوى التى يدافع عنها الاشتراكيون والناصريين والديمقراطيون والليبراليون والمستنيرون.

تغليب السياسة على الدعوة: تتكاثر الجماعات المذهبية التى تنفقه فى الدين حسب رؤية ومفاهيم ومصالح فقهائها أو مرشديها أو أمرائها وآياتها وتسقط رؤيتها للدين على القضايا الحياتية بما تحمله هذه الرؤية من خطأ وصواب، فانحرفت بمجال الدعوة لصحيح الدين وهبطت بالوحى المقدس إلى دنيا السياسة، وتشهد مصر وغيرها صراعات تتزايد سخونتها بين انصار هذه الجماعات المذهبية، وجماعة الإخوان تعتبر أن صحيح الدين والتدين ينحصر فى رؤيتها للدين الذى يتمثل فى أتباعها فقط وباقى المسلمين، إسلامهم غير صحيح.. ولهذا رفضت مبدأ المواطنة.. مبدأ المساواة حتى بين المسلمين المصريين، أما غير المسلمين فعليهم الجزية حيث تعتبرهم غير مواطنين وغير مسلمين.

للحالة جذورها.. منذ نشأت جماعة الإخوان كإحدى تجليات الردة على الاجتهاد الفقهى المستنير ورموزه الشوامخ.. بن خلدون ، بن رشد، الطهطاوى، محمد عبده،

شلتوت، عبد الحليم محمود فاصطبغت رؤيتها الفقهية بالاستبعاد لغيرها والعنف لإجبار المجتمع على الخضوع لرؤيتها المذهبية والسياسية الأمر الذى أدى بها للتحالف مع القصر وأحزاب الأقلية ضد الأغلبية الشعبية وأحزابها قبل الثورة، ومعاداة الثورة، والتحالف مع السادات بعدها.. وصراعها الحالى مع النظام من أجل كراسى الحكم للاستمرار بنفس النظام الذى أقامت أسسه مع السادات وأيدت مبارك فيه بمجلس الشعب ٨٤،٨٧،ومن ٢٠٠٠ حتى الآن.

مفاهيم مغلوطة:

جماعات دينية ، بل جماعات مذهبية دعوية فقط ، أو مذهبية سياسية، الدين رسالة ومن الخطأ أن تنسبه الجماعات لنفسها، بل تنسب نفسها إليه، جماعة مسلمة أو مسيحية أو يهودية.. فالدين رسالة لكل الناس باختلاف أوطانهم وأزمنتهم ومذاهبهم ومصالحهم.. الدين وحى مطلق، عام، ثابت، يؤخذ منه ولا يرد عليه أما أى فرد أو جماعة فيؤخذ عنها ويرد عليه، فإجتهادهم ليس وحياً وهم ليسوا بأنبياء.

الجماعة الإسلامية:

ليست كل المسلمين بل جماعة منهم.. لا ينحصر فيهم الإسلام والرسل بشر مبلغين برسالات الله بالوحى فهم البشر الرسل وليسوا صلوات الله عليهم الدين الرسالة، وأى جماعة.. هى جماعة مسلمة أو مسيحية أو يهودى.. وكذلك الجماعة الدينية.. أما جماعات الدعوة والجهاد فهى أسماء يمكن وصفها على أصحابها لأنها تعبر عن خدمتهم للدين والمتدينين.

التيار الإسلامى:

بل تيار من مسلمين، يعلم الله مدى صحة إسلامهم ويصرف إخوانهم المواطنين وغيرهم مدى صحة رؤاهم المذهبية للدين وسياساتهم لمعالجة أمور الناس، فهم ليسوا تياراً إسلامياً لأن الدين يظل كل لا يتجزأ ولا ينسب لأحد بل ينسب الناس إليه تيار مسلمين أو مسيحيين أو ..

السلفية:

نسبة إلى ما سلف.. من بشر فى رؤاهم المذهبية للدين أو الاقتصاد أو الاجتماع أو

العلم أو السياسة، وفيما عدا السيرة الذاتية الجماعية الطيبة والتراث الإيجابى فى القيم والأخلاقيات.. التى تتزايد إيجابياتها بإضافات التابعين المستنيرين فى أمور الحياة.. بما ينعكس على حسن رؤيتهم المذهبية للدين، فيما يعرف بالتجديد الدينى، أى تجديد الفهم للدين، وبتحديد المعارف الإنسانية والعلمية فإن إضافات البشر فى كل هذه المجالات تتواصل، أما قصر الصلاح والصلاحية فيما سلف فهو منطق ضد الدين والدنيا.

وسطية الأزهر:

تنقذنا من الغلو والإنحراف بالدين ومن استخدامه لتبرير السياسيات المتعارضة للبشر لأكثر من الف عام.. حمل الأزهر الشريف رسالة الدعوة فى وسطية تجمع ولا تفرق فاستحق ان يكون وأن يظل منارة للمسلمين لا يجب السماح للجماعات المذهبية ان تنازعه دوره، مغبة الانحراف بالفهم الإسلامى وتفرق المسلمين شيع وجماعات وصراعات ولا يجب ان تنحرف الجماعات الخيرية إلى مجال الدعوة والسيأسة وإلا يفرق الأزهر بين هذه الجماعات فتنتكس الأمة بأكثر مما وصلت إليه.

الإسلام السياسى:

بل سياسيون مسلمون، فالإسلام الرسالة هداية للبشر وتوجهات ومقاصد فى كليتها تكون الحوافز الجيدة لدى الإنسان بجانب التوحيد والعبادة، أن يسعى لعمران الأرض كى تستمر حياته وأن يتصف بالصفات الجيدة، وأن يسعى إلى العلم ويتبادل الخبرات مع البشر لعمران الأرض وتحقيق سعادة الأحياء والقادمين إلى الحياة.

حزب التجمع والدين

وضع التجمع برنامجه السياسى عام ١٩٧٦ لعلاج مشاكل الوطن.. وعلى أساسه أصدر برامجه النوعية وتطور برنامجه وصولاً إلى برنامج المشاركة الشعبية وبرامج تتضمن حلول لمشاكل الزراعة والصناعة والتعليم والعلاج.. إلخ وموقف التجمع واضح من الأديان.. فهو يلتزم بالدستور ومواثيق حقوق الإنسان كمرجعية أساسية بكل ما تتضمنه بما فيها التوجهات الدينية المحفزة على التنمية والعدالة والمساواة وكفالة


محمود الهندي

الحقوق والحريات.. فحزب التجمع .. يعلى من شأن الأديان كطاقة خلاقة تسهم فى تنمية السلوك السوى لصالح الإنسان. ويرى أن القيم الدينية الصحيحة التى يستمدها الإنسان من الدين قد صارت جزءاً لا يتجزأ من تراثنا الحضارى، فأصبحت قوة كبرى دافعة لجهاد الإنسان والجماهير نحو حياة أفضل.. ذلك تراث المسيحيين قبل الإسلام وتراث المسلمين والمسيحيين بعد الإسلام.. واليسار فهم مبادئها باعتبارهما صورة من صور العبقرية، فى إطار التعاليم الكلية والمبادئ العامة للدين أضافت للأمة عبر تاريخها فى فترات الزهو. صفحات مشرقة ورائدة، فى التراث الإنسانى كله لما فيه من المثل العليا والمبادئ السامية والقيمة الإنسانية، كنوز لازالت صالحة للعطاء والاقتداء والاستلهام، فى التشريع والديمقراطية والتفكير وإعلاء شأن العقل وفى تقدير دور العلم والعلماء مجتهدين ومبتكرين ، واحترام الخبرة الإنسانية والحث على طلب العلم والمعرفة ورفض التقليد الأعمى، وفى حرية العقيدة واحترام الرأى، وتحرير الضمير من الخوف والإرهاب الفكرى، والجمود العقلى وفى مقاومة الظلم والفساد والإنحراف وفى رفض السيطرة الأجنبية والاستعمار وفى تدعيم الوحدة الوطنية على أساس المواطنة المتكافئة للمواطنين وإدانة التعصب والطائفية، وحرمة تكفير المسلم وفى تأكيد وحدة الأخاء الإنسانى والسلام العالمى وحق تقرير المصير.. والنهى عن اكتناز الثروة أو تهريبها والقضاء على التفاوت الفاحش بين الناس وإقرار وحماية الملكية العامة وإعلاء شأن العمل كمعيار وحيد للقيم والمساواة بين الرجل والمرأة فى القيمة الإنسانية وفى جزاء الأعمال والسلام الاجتماعى المرتهن بالعدل الاجتماعى والدعوة إلى تحصيل العلم واستخدامه واحترام التخصص والخبرة الإنسانية وذلك فهمه أيضا لدور المؤسسات الرسمية الدينية (الإسلامية والمسيحية) ولقد تبلورت هذه الرؤيا خاصة فى مواجهة الغزو المذهبى المتزايد منذ أواسط السبعينيات، بمضمون يؤدى إلى تحويل الإسلام بعكس ما أراد الله إلى مجرد شكل ومظهر أو طقس يخلو من المعانى والقيم النبيلة، ويختزل الإسلام فى جلباب ولحية وسواك، وتكفير لدى البعض بينما يغض المذهبيون الطرف جهلاً أو قصداً بل ويشاركون فى الغش والتدليس والفساد والاستبداد السياسى والاحتكار الربوى وركوب الديمقراطى للتفرد بالحكم بعد خداع الناس، والعنف الذى يغرسون كل مقوماته الفكرية بما يحوله إلى سلوك اختيارى لبسطاء ارتكبوا جرائم بلا حصر متصورين أن جرائمهم استشهاد، لا يغنى

عن جرمهم اعترافهم بأنهم كانوا قتلة وليسوا مجاهدين.

وحزب التجمع بما يضمنه بتكوينه من القوى الاشتراكية والتقدمية والقومية والديمقراطية.. أى كل ألوان الطيف الوطنى التقدمى لم يكن يوماً محايداً مع الدين بل حمل رسالته بفهم مستنير لرسالته قابضاً على الدين والوطن كالقابض على الجمر. وبسعى متواصلا وبإصرار لإعمال مضمونه العام قبل، وبعد إنشاء حزب التجمع وهو نفس الموقف لليسار خارج حزب التجمع قبله ومعه، فالأديان طاقة يستعين بها شعبنا كتوجه، للتغلب بالعلم والعمل على حل مشاكله وبناء مجتمعه، وتحقيق الوظيفة الاجتماعية للملكية وتجريم الربا والاستغلال (الاحتكار والأرباح الربوية).

الرؤيا الحضارية ، وأهمية دور الأزهر والأوقاف

التزم الأزهر بوسطية مذهبية هى المذهب السنى الحنفى - بقدر ما يؤدى دوراً للتقريب بين المذاهب وهما قضيتان تحتلان أهمية فى وقتنا حيث يشتعل الصراع بين اصحاب المذاهب خاصة الشيعة والسنة وبين الجماعات المذهبية، داخل المذهب السنى خاصة جماعة الإخوان فى مواجهة المجتمع وباقى الجماعات والجمعيات وحيث يبلغ خريجو الأزهر بعشرات الألوف سنوياً يحملون ثقافات وتراثا اجتماعيا يحتاج إلى مراجعة والأوقاف تتولى عشرات الألوف من المساجد بأئمتها والعاملين بها وجمعياتها والمتصرفين فى شئونها، مما قد يؤدى إلى كارثة محاولة إقامة دويلات متأسلمة وأخرى منقسمة مذهبية بديلة على أنقاض الدولة المصرية الموحدة، كما تسعى لإدارة الدولة خارج نطاق مشروعيتها الدستورية التى يتم التلاعب بها أيضاً لصالح الحزب الحاكم ، وجماعة الإخوان ، لتقف مصر على شفا كارثة أكبر من كل ما الحقه بها الاستعمار نتيجة لتحالف السادات والإخوان الممتد برئاسة مبارك للآن.. ذلك وغيره يوجب علينا طرح رؤية حضارية للإسلام.

التوافق العام

من الأهمية أن يتوافق المصريون على رؤية حضارية للدين وتجمعهم دون غيرها ودون أن نغلق باب الاجتهاد للتجديد التوافقى يضاف إلى مشروع الأزهر بعد إعادة صياغته

ومبدا التوافق يحقق تلاقى عام ويسد الطريق على تمزيق الأمة رؤية حضارية للدين نقدمها للحوار، وندعو الأزهر والأوقاف والمهتمين والمتخصصين والعاملين بالثقافة والعمل العام للمشاركة فى بلورتها هذه الرؤيا تتكون من:

١ - رؤية ثقافية واجتماعية عامة التوجه الدينى أساس فيها.

٢ - رؤية اقتصادية واجتماعية موضوعية متجددة الدراسة متفاعلة مع تجارب البشرية وهذه بطبيعتها مجال اجتهاد يتفق مع مصالح الساعين لها رؤية انتقائية لكل المذاهب الفقهية والتراث الإنسانى بكل مكوناته، يقدمها كفهم حضارى كمشروع لتجديد المجتمع، يتضمن فهماً جديداً أو صحيحاً لفهم الإسلام فى الوقت المعاصر وهو جهد لإعادة دور الحضارة الإسلامية تهتدى بتوجهات القرآن والسنة ولا ينحرف عن العقيدة الصحيحة.

المشروع يحاول صياغة رؤية حضارية للإسلام فى مقاصده العامة حجر الأساس فيها. لكنه لا يحرم نفسه من كل التراث الإنسانى. ثم وهو الأهم إذ يدعو للأخذ بالعلم يترك البرامج ودراسة الواقع ومعالجاته للعلم والعلماء لتطوير جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويلبى متطلبات الروح ويعالج قضايا الفرد والجماعة.

مبادئ المشروع

١) اختيارية الإيمان بالله وتحقيق التقوى وذلك لأن الإيمان بالخالق عامل أساسى لتقوى الله تفضى بالعلم والمعارف إلى جليل الأعمال وإحسن الأخلاق وأعدل العلاقات بين الناس.

٢) الحكومة العادلة والأمينة: عن طريق الاختيار الحر لنواب الأمة بين كل أبناء الوطن دون قهر أو إكراه، وتعمل على بسط العدل ونصرة المظلومين وردع الظالمين ورد الحقوق إلى أهلها ورعاية مصالح الأفراد على اختلاف معتقداتهم الدينية والمذهبية وقضاء حوائجهم بأمانة وتجرد وإخلاص.

٣) حرية واستقلال الشعب: باعتبار أن الحرية هى القيمة الكبري فى الحياة الإنسانية.. وهى الحافز للعمل والإبداع وبها يكون الإنسان مستقلا وحراً فى قراراته وقد خلع عن رقبته طوق العبودية والتبعية.

٤) التمكن من العلوم والمعارف: فالعلم هو المرتكز الأساسى لنهضة الأمة والوسيلة

التى يستعان بها على عمارة الأرض وتسخير ما فيها، وترقية الحياة والانتفاع بالطيبات من الرزق.

٥) التنمية الاقتصادية الشاملة والمتوازنة: التى تعنى التنمية بكامل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والروحية والمادية والثقافية والحضارية ، لصلاح وسعادة الإنسان غاية وهدفاً لها.

٦) تحسين نوعية الحياة: وتعنى سلامة الحياة واستقرارها وجودتها، وتوفير متطلباتها الضرورية للمجتمع والفرد.

٧) حفظ حقوق الأقليات والمرأة: رعاية حقوق الأقليات العرقية والدينية، وكذلك احترام المرأة وتقدير مكانتها وتعزيز دورها الإيجابى فى المجتمع.

٨) الأخلاق الحميدة والقيم الثقافية الفاضلة: العناية بالأخلاق الفاضلة والقيم المعنوية السامية فى كل المجالات والجوانب وأن تكون هى الأساس لتربية الأجيال.

٩) حفظ وحماية البيئة: الحفاظ عليها ومنع ما يهددها من عوامل التلوث والآفات والهلاك.

١٠) تقوية القدرات الدفاعية للوطن: بالحفاظ على سلامة ووحدة أراضى الدولة وحماية المصالح العليا لشعبنا والمحافظة على استقلالها واستعادة دورها القيادى.

أهمية الرؤية الحضارية

تزداد أهميتها وفى الألفية الثالثة، من أجل المساعدة على الإندماج المحسوب الراعى للمصالح الوطنية فى الاقتصاد الحديث، وتصلح كعلاج للتطرف وللغلو فى الدين ولأنها تشجع على التسامح والتفاهم والاعتدال والسلام، وفى بلد متعدد الديانة والثقافات. وتهدف لمصلحة الجميع على اختلاف عقائدهم وأديانهم وإعراقهم وتمتع كل أبناء عمه بالمواطنة المتساوية المتكافئة دستوراً أو قانوناً وتطبيقاً بالحسن والإنصاف ليؤدى ذلك إلى الإمتياز والتفوق العام ويكون مصدراً للفخر والاعتزاز لبنى الوطن.

فى الرؤية الحضارية

١) أن يتحلى المجتمع بالأفكار الوسطية والمعتدلة التى تساعد على تقوية بناء الأمة والدولة.

٢) قوامة الأخلاق الفاضلة حتى يكون قدوة للأمة كلها وللناس جميعاً.

٣) يتصف بالمسئولية والجدية فى تأدية دوره وواجباته.

٤) تكون قيمة العلاقات بين أفراد المجتمع مترابطة، وتقوم على الثقة والأخلاق الفاضلة.

٥) يتصف بالنظام ويحترم سيادة وحكم القانون.

٦) متحد الكلمة ومتعاون ومتكامل فيما بينه.

٧) تهتدى الدولة بتعاليم الإسلام الحقيقى وتحقق مقاصد الشرائع السماوية.

٨) تكون الدولة رائدة وقائدة وليست تابعة أو ذليلة.

مظاهر الرؤية الحضارية وعناصرها

العالمية: لأنه يستمد روحه ومقاصده من الدين الإسلامى الذى هو رسالة للناس كافة ورحمة للعالمين.

الربانية: حيث مصدره الأساسى وحى الخالق العظيم ويتبنى ربط الناس بالله رب العالمين ، فهى دعوة ربانية الغاية والهدف، كما هى ربانية المصدر والمنطلق، بشرية الفهم والمسئولية والنتائج.

الأخلاقية: فالأخلاق الفاضلة التى تفضى إلى سلوك رشيد وعلاقات طيبة بين البشر هى أبرز ما تدعو إليه الرؤية الحضارية.

التسامح: من أجل مجتمع يسوده الاستقرار والسلام والتعاون والتكامل بين أبنائه بجميع معتقداتهم وتفهم الآخرين واحترام اختياراتهم العقيدية والثقافية.

سمات الرؤية الحضارية

التكامل: تتكامل فيه معارف البشر بالوحى مع علوم العصر، وتتكامل فيه الجهود من حيث تناوله لشئون الفرد والمجتمع والدولة.

الوسطية: تقوم الرؤية الحضارية على الاعتدال فى منهجه واليسر فى طريقة تطبيقه ومن خلال ذلك يكون التوازن بين مصلحة الأفراد ومصلحة الجماعة، والتوازن بين متطلبات الروح والمادة وبين المثال والواقع المتداخل محلياً وعالمياً.

التكافؤ: من حيث مادته كتوجه يغطى جميع المجالات وتهتم بمستويات مختلفة كما

تستوعب المتغيرات، وتأخذ من التجارب والحكم البشرية النافعة والصالحة.

الإنسانية: بمعنى أن رسالته موجهة إلى الإنسان. وتهدف إلى رعاية مصالحه الضرورية والأساسية والتحسينية. وجميع حقوقه الأساسية، وحفظ دينه وعقله ونسله وعرضه وماله.

عناصر الرؤية الحضارية

١) التعليم الشامل: الذى يجمع بين معارف الوحى وعلوم العصر، ويغطى فروض الكفاية والأعيان ويؤدى واجبات الوقت دون تقصير.

٢) الإدارة الجيدة: التى تحسن إدارة الموارد البشرية والمادية التوظيف والاستخدام الأمثل لها.

٣) التجديد فى الحياة: بمعنى ترقية أساليبها من ناحية التمدن والحضارة.

زيادة جودة الحياة: وتوفير متطلبات الحياة الكريمة على أجود هيئة وأكمل حالة.

قوة الشخصية: من حيث الإخلاص والأمانة المستنيرة، فالأخلاص اساس الأقوال والأعمال بينما الأمانة عماد المجتمع والدولة، والاستنارة الدينية والمعرفية العامة والعلمية هى بصيرة الإنسان ودون ذلك لا يمكن إيجاد الإنسان الصالح والمجتمع الصالح، وهى أسس تقوم عليها الحضارات وبغيابها تزول وتغرب.

الحيوية والنشاط: من حيث استجابته للمتغيرات وإدراكه لمتطلبات الحياة المتجددة ووسائلها المتشعبة.

الشمول والسعة: يقوم المشروع على الفهم الشمولى للدين ولا يركز على جانب دون الآخر ولا يأخذ بتعاليم الإسلام مجزاة. ويعتبر الإسلام منهج حياة كاملاً فهو عقيدة وعبادة وإخلاق ومعاملة ومبادئ رئيسية للتشريع تتكامل بعلوم ومعارف العصر.

العملية والواقعية: لا يجنح إلى المثالية المجردة، فهو منهج عملى واقعى يحث على مراعاة واقع الحياة وطبيعة الإنسان وتفاوت الناس فى استعداداتهم ومداركهم وحاجاتهم ومطالبهم الاستقلالية، وعدم التبعية للأجنبى. سواء كانت تبعية فكرية أو ثقافية أو اقتصادية وسياسية.

تعزيز المؤسسة الأسرية: فالأسرة هى اللبنة الأساسية فى المجتمع وبعلاجها يصلح المجتمع وتترابط علاقاته وتتوحد مشاعره، يلتزم المجتمع بضمان بدايات مقومات حياة كريمة لكل

ابنائه - تكفل الأساسيات الاقتصادية والاجتماعية ويتزايد تحسينها بالجهد الخاص.

تحديات تواجه الرؤية الحضارية

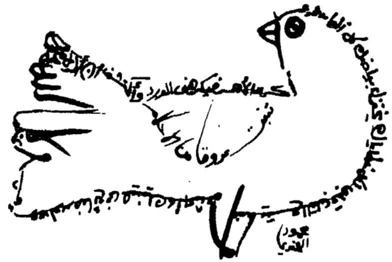
هى فى جملتها تحديات داخلية من ابرزها: الجمود والتقليد، حيث يقف تيار الجمود والتقليد عقبة أمام محاولات التجديد والاجتهاد بدعوى الإبقاء على القديم، وإن لم يكن صالحاً لعصرنا وهو تيار يعبر عن نفسه فى الجمود المذهبى (القوالب) والتقليد الفكرى والسلفية فى أمور الحياة.

التطرف: وهو تيار أبرزته المشكلات والاختلال العميق فى المجتمعات المسلمة ويعبر عن نفسه فى حركات التطرف الفكرى والسلوكى، والإرهاب الذى يجلب الكوارث للمسلمين والرهبنة والابتعاد عن الدنيا والإنصراف عنها كلية.

احادية المعرفة: المعرفة الجزئية سواء بالشرع أو الواقع المحلى والعربى والعالمى تؤدى إلى نظرة جزئية للأمور وتحجب عن صاحبها معرفة الأبعاد الحقيقية للقضايا، وبالتالى يكون حكمة قاصراً وعاجزاً عن المعالجة الواقعية فلابد من المعرفة بالشرع والواقع معاً.

إدارة الوقت: التصدى لإهدار الوقت وعدم إدراك قيمته، كأسباب للفشل والتردى فى الحياة العامة. أن إنزال المشروع على ارض الواقع سوف يستفيد من المقومات والجهود التى تراكمت لدى الأزهر والجماعات ودور العلم وطنياً وعالمياً والمجتهدين المستنيرين فى هذا المجال.

فالصياغة لا تعنى البداية من فراغ بل استمرار عملية التطوير والاستيعاب للأفكار والاجتهادات النافعة والجديدة.. تلبية لمتطلبات الحياة المعاصرة مع الأخذ فى الاعتبار تعدد وجهات النظر والاختلاف مع الآخرين وهو اختلاف يقابل بالحوار وصولاً للتنوع وليس إلى التضاد.. أو الإنفراد والتفرد والاستبعاد ويمكن إثراء الأفكار وتطويرها، شريطة أن يراعى أدب الحوار والاختلاف ولعل الميزة الأساسية فى هذا التصور انه تصور عام لا يعبر عن مذهب جديد أو فرقة مبتدعة ولا إجبار لأحد على الأخذ به بقدر ما هى مجال للتوافق. يتوافق المجتمع حولها ويدفع بها لما هو أصلح إنها اجتهاد بشرى، وليس وحياً معصوماً، فالاختلاف معها امر وارد.



التجمع رؤى عالمية مشتركة:

تلك الرؤية الحضارية الثقافية للدين.. بقدر ما هى انعكاس لجوهر الأديان الدافعة للتقدم فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فهى من مكونات المرجعية الأخلاقية والثقافية العالمية التى أصبحت مشتركة بين الشعوب التى تقدمت والشعوب التى حققت طفرة تقدمية كبيرة مثل ماليزيا ودول جنوب شرق آسيا والشعوب الناهضة فى أمريكا اللاتينية حيث انتشر لاهوت التحرير متزاوجاً مع عوامل التحرر الوطنى والشامل اقتصادياً واجتماعياً وتسعى مجموعات من اتباع الديانات وارباب المعارف الإنسانية والعلمية لإصدار كود - ميثاق - عالمى يضم المشتركات بين كل الأديان والثقافات والحضارات، يشمل فى مجموعه قيما ومعتقدات وقناعات واتجاهات زمنية وقواسم وتقاليد وانماطا سلوكية وروابط وعلاقات اجتماعية مشتركة يتزايد إثراؤها بالتفاعل الإنسانى.

إن رؤية التجمع: كما أوردناها من قبل تشمل مقومات الرؤية الحضارية للدين بقدر ما هى إسهام فى المشتركات العالمية فى القيم والأخلاقيات والعلوم والمعارف.

نقد

«صمت الطواحين»: فى الدلتا المصرية

د. محمد برادة

■ الذين قرأوا روايات سابقة ليوسف أبو رية مثل «عطش الصبار» و«تل الهوى» و«ليلة عرس». يتذكرون جيدا حرصه على صنع خريطة دقيقة وتفصيلية لبلدات تقع أساسا فى الدلتا، ينحت تضاريسها عبر فضاءات الريف وشخوص يعيشون فى مناخ التقاليد الموروثة التى تجعل سلوكاتهم تبدو خارج الزمنية التاريخية، على رغم أن أحداثا مهمة تتناهى إلى أسماعهم وتلقى بظلالها على مجرى حياتهم.. ومن داخل تلك البلدات المهملة، شبه المنسية، استطاع أبو رية أن يرسم ملامح لتاريخ يمتزج فيه اليومى بالأسطورى، ويضطلع الفانتاستيكى بنسج الحبكة وابتعاث الحركة فى تلك الأجواء الريفية.

فى روايته الجديدة «صمت الطواحين» يقسم أبو رية النص إلى أربعة فصول تحمل أسماء ثلاث بلدات: الصوالح، الجزيرة، طناح، والجزيرة مرة أخرى، وبين هذه البلدات فروق تضئ جوانب من قصة الأسرة التى يحكى الكاتب قصة صعودها وأفولها، حيث إن «الصوالح» يسكنها البدو و«الجزيرة» يقطنها من هم من أصل عربى، أما «طناح» فقد أقام فيها، إلى تاريخ قيام ثورة ١٩٥٢، أوروبيون كانوا قد وفدوا إليها من مستعمرات تركية سابقة ، وحملوا معهم طرائق العيش الغربية وشيدوا فيلات وقصوراً ومقاهى: «قطعة من أوروبا بين قارة من فلاحين غلاظ خشنى الطباع، لا يرحمون، تلوك ألسنتهم سير الخلق بمعايير أخلاقية بالية (...) الآن تدنو هذه البلدة من السمات المميزة للقرى

المصرية كافة، هجرت القصور، وتآكلت واجهاتها المغبرة، وتحول الكثير منها إلى مدارس أو مستشفيات أو إدارات للنظام العسكرى الحاكم، ص ١١٤.

فى تلك المنطقة من الدلتا، ينسج ابو رية اللحظات الأساسية فى مسار فرع من اسرة آل خليفة التى بنت ثروتها ونفوذها من تشغيل طواحين القمح والرز.. والأمر يتعلق، عند انطلاق الرواية وبتجديد سلطة عائلة آل خليفة على يد الحاج ابو المعاطى الذى سعى إلى تخليص الطواحين من سيطرة ابناء عمه الذين استغلوا والده وانفقوا الأموال المحصلة على سهراتهم الماجنة. يستعيد ابو المعاطى الطواحين مستعيناً بأخويه ابو العلا ويونس، ويأخذ فى توسيع دائرة المشروع عبر البلدات المجاورة لكن مسار حياته تغير عندما التقى فى «الصوالح» بـ «شهدة» التى كان يعرفها فتاة صغيرة فى «الجزيرة» وهى الآن رائعة الجمال، متزوجة من طه الغمراوى بائع الكيروسين الذى لا تحبه.. وعلى رغم ان الحاج ابو المعاطى متزوج فإن جمال شهدة ايقظ عاطفته واجج شهوته ، فأخذ يدبر الأمر ليفصلها عن زوجها، ثم تزوجها مستعينا بثروته ونفوذه. بهذا السلوك، تجديد الفراش بزوجة ثانية، وتوسيع البيت ونقط ارتكاز الطواحين فى بلدات الدلتا، يكون الحاج أبو المعاطى قد وطد نفسه «مؤسساً» للعائلة من جديد، ومن ثم اهتمامه بدعم ابنه «فرج» ليصبح سنده وخليفته، متخطياً بذلك اخويه ابو العلا ويونس، يرسل إذا ابنه إلى طناح ليراقب عميه ويتعلم منهما فى الآن نفسه، حرفة تدبير الطواحين: «.. والآن يخضع لرغبة الأب فى ترك طاحونة الجزيرة ليلحق بأعمامه فى طاحونة طناح، قال له قبل المغادرة: لا تكف عن مراقبتهما وتبلغنى بأى أمر تستشعر منه التحالف ضدنا..» ص١٤٠. كان الأب يخطط كل شيء ليستكمل شروط المؤسس البطريركى فأغرى فرج بالبحث عن فتاة من اسرة عريقة فى طناح ، تعرف أصول المعاشرة وتحسين النسل، فيعضد زواجه مركز الفرع الثانى لآل خليفة، ويتلاقح الفلاحون بسلالة أسرة محمد على مستفيدين من اراضى الباشوات وعندما التقى بشاهناز سرعان ما تبادرت إلى ذهنه الفكرة التى كانت تراود اباه، بل تشكل افقاً مشتركاً فى المناخ السياسى بعد ثورة ١٩٥٢: «.. فلأخلط ثروتنا الجديدة بعراقة نسبها وننجب أبناء يجمعون العنصرين معاً، ويشكلون كائنات الأرض الجديدة التى يبشر بها زعيم الضباط، ص١٤١. لكن توقعات فرج ذهبت أدراج الرياح، لأن شاهناز حملت إليه تجربة الحب التى لم يسبق له ان عاشها.

لم تدم سعادة فرج طويلاً لأن اباه انجذب إلى جمال شاهناز وراودها عن نفسها فرفضت فاستشاط غضباً وأرغم ابنه على تطليقها.

حينئذ تبدأ مرحلة الجحيم التى قادت فرج إلى نهايته والعائلة إلى التلاشى: يتزوج فرج أكثر من مرة، ينتقل بين المهن، يسافر إلى خارج مصر لكنه فى كل مرة يعود بخيبة كبيرة عاجزاً عن نسيان شاهناز الزوجة والحبيبة: «هل كان ترتيباً من القدر؟ أكان لابد أن يحدث ما حدث لكى ألتقى بها؟ اسألوا الأقدار، أو اسألوا أبى الذى جاء فى زمن تعلق فيه بإرادة الطواحين (....) اسألوا الزمن الذى ضبط ساعته على هذا اللقاء فى ضحى هذا اليوم عند هبوطى من قطار الدلتا، فيصطدم الحنطور بالكارتة لألتقى بها عند خروجها لزيارة مقبرة أبيها ص ١٥١.

على رغم وجود شخصيات متمايزة تؤثث رواية «صمت الطواحين» مثل شخصيات أبو العلا ويونس ونور، عليوة وشهدة وعبد السلام المنصورى، فإن بناء النص يقوم على قصتين وحبكتين مدارهما الأب وابنه فرج، وهذا ما يغرى القارئ بأن يصوب زاوية التأويل نحو البنية البطريركية التى يعاد إنتاجها ضمن شروط اجتماعية واقتصادية مغايرة.

إلا أنها تستمر فى ممارسة التأثير السلبى نفسه الذى يطبع العلائق المحكومة بالاستبداد والتى تقف حجر عثرة أمام نمو الفرد فى وصفه كيانا وحرية، يبتدع المستقبل ولا يقتصر على استنساخ قيم ماضوية.

تحالف مجهض؟

فى رواية «صمت الطواحين» يحتل سرد قصة ترميم أبو المعاطى للفرع الثانى من عائلة آل خليفة القسط الأوفر من النص وما تبقى يسرد مأساة فرج وانحداره هو والعائلة، ومن هذه الزاوية تبدو الرواية وكأنها تبتعث حيوات وتعيد تجسيد فضاءات تتصل بمهنة طواحين القمح والرز فى بلدات الدلتا.. إلا أن التاريخى الحدثى المتوارى خلف الشخوص ووصف تفاصيل الحياة اليومية وصفاً مقتصداً، سرعان ما يثير انتباهنا عبر تعليقات مقتضبة إلى عناصر ترميز يتقصدها الكاتب خلسة ومن دون طنطنة أو تصريح وأول ما يلفت النظر تلك الصورة التى رسمتها الرواية للأب البطريركى من خلال تعرجات غير مألوفة لأن ابو المعاطى يبدو لنا أول الأمر إنسانياً

فى ضعفه أمام شهدة الجميلة التى حركت شهوته وهو على عتبة السن الحرجة.. إلا أن استقواءه واتساع ثروته جعلاه يرتد إلى البنية الموروثة التى تربط صورة رئيس العائلة والأب «المؤسس» بالسلوك المستبد. وبشخصية الآمر الذى يستجاب لما يشتهيه، على هذا النحو تبرز من ثنايا النص إيقونة ترسم ملامح بطريركية للأب الذى يبيح لنفسه تحقيق رغائبه واشتهاءاته الذاتية، وفى الآن نفسه يفرض على زوجتيه وابنه الخضوع لأوامره وردود فعله المبنية على الأنانية (مراودته لزوجة ابنه) وعلى النزعة الاستبدادية (إرغامه الابن على تطليق شاهناز):

«رحل الجميع وبقيت شاهى بوضاءة بشرتها، ونور وجهها المشع فى مواجهة مع شيخوخة الزوج الأول (فرج) الذى لم يبق له من زمنه القديم سوى عشقه لها، لو استقبل ما استدبر من أيامه، لو كان الأمر بيده لا بيد أب جبار، متكبر، يريد أن يقول للولد كن فيكون، لم يتحرر من سطوته أبداً، ولم يقدر يوماً على الفكاك من فلكه. حاول يوماً فترك العمل فى الطاحونة بعد أن أجبر على تطليق شاهى «وبلد تشيله وبلد تحطه، فالتقطته جماعة الإخوان المسلمين، قالوا له: سنوفر لك وظيفة وزوجة..» ص ١٦٥.

العنصر الآخر لتأويل «صمت الطواحين» يتجلى فى ذلك الزواج بين فرج الفلاح «الصاعد» وشاهناز سلسلة الأسرة الحاكمة والطبقة البورجوازية التى كانت تملك الأراضى الشاسعة، يبدو هذا الزواج بمثابة ترميز يستحضر تلك الفكرة التى أشار إليها بعض من أرخوا للناصرية، والذين يذهبون إلى أن من أسباب فشل ثورة ١٩٥٢ كونها لم تنجح فى عقد تحالف مع الطبقة البورجوازية التى كانت تتوافر على قوة اقتصادية وخبرة فى الإدارة والتدبير، وانفتاح على القيم التحديثية.. ونجد الكاتب يدس هذه الفكرة على النحو الآتى:

«من كان يتخيل ما حدث؟ أن يطرد الملك آخر سلالة محمد على، ويغادر الجيش الانكليزى مدن القناة، وتصادر أراضى الباشوات بل من كان يتصور أن يهرع الأجانب لمفارقة البلاد تاركين ثرواتهم لعمالهم من أمثال المنصورى؟ فلأخلط ثروتنا الجديدة بعراقة نسبها وننجب أبناء يجمعون العنصرين معاً ويشكلون كائنات الأرض الجديدة التى يبشر بها زعيم الضباط» ص١٤١. كأن الكاتب يريد أن ينبهنا إلى أن تلافى إعادة إنتاج البنية البطريركية واستبداد الأب، إنما هو مرتبط بتغيير عقلية الفلاحين

وسلوكهم من خلال تزاوج مع الطبقة التى استوعبت قيم الحداثة والعصر.. ونتيجة لهذا التحالف المجهض، يعيش المجتمع المصرى تقهقرا يتيح لإيديولوجيا الأصوليين الانتشار والرواج.

إن أحداث «صمت الطواحين» لا تكاد تتعدى ثلاثة عقود زمنية، لكنها تؤرخ عبر السرد والشخوص والكلام، لصعود فرع من آل خليفة وأفوله، كما تؤرخ لاندثار تأثير الأسر المنحدرة من أصول أوروبية وتركية فى بلدة طناح، إلى جانب بروز المستفيدين من الأملاك المؤممة فى العهد الناصرى.. من هذه الزاوية، يمكن اعتبار «صمت الطواحين» بمثابة رواية أجيال من نوع خاص، لأنها تقوم على البناء المشهدى المحيل على جريان الزمن المتقافز، وعلى الصوغ فى حده الأدنى الخالى من التزيد والحشو والوصف غير الوظيفى وتأخذ اللغة فى النص، منحى الدقة والاقتصاد والتهجين المولد لدلالات تخدم خصوصية فضاء الرواية. وفى نطاق تعديد الأصوات واللغة تطالعنا ثلاث رؤى على لسان الإخوة الأربعة، مكتوبة بلغة شعرية لافتة، وكأن الكاتب أراد أن يخفف قليلاً من «نثرية» اللغة السائدة فى النص والتى هى مبررة وملائمة لأجواء الحياة الريفية اليومية، بينما تبدو تلك الرؤى ذات اللغة المصفاة وكأنها مسقطة من فوق.

إن «صمت الطواحين» فى نهاية التحليل تدعم عوالم يوسف ابو رية الروائية، وتنطوى على متعة وتأملات موحية تعيد إلى الواجهة التاريخ المهمل لبلدات الدلتا ، كما تحرك اسئلة تمس تواريخ الأفراد والأسر والأنظمة فى مصر الحديثة.

نقـــد

الزمان والمكان عند الطيب صالح وبـروست

أمير حمد

انطلاقا من ان كل عـمل ادبى ، مؤثر ، ومتأثر ، بعمل ادبى آخر، أو متناص معه، عبر توالد الخواطر أو التكريس لتيمة واحدة، ستجرى المداخلة التالية بين الروايتين المعنيتين اعلاه وبعض اعمال الأديب الطيب صالح.

١ - يكتب اندريه موروا معلقا على رواية البحث عن الزمن المفقود بأن بروست ،كان معنيا بدراسة ميكروسكوبية للعواطف الدقيقة الخالدة،.

إلا ان تيمة العواطف لم تكرس فى هذه الرواية لوصف وشائج اجتماعية معينة، بقدر ما انصبت على تيمة الماضى والانفتاح، عبر النوستالجيا، والتذكر على علاقة الإنسان بالمكان والزمان المؤثر فيه بثبوت الانفعالات، وللحظات الخالدة.

بتتبع مسيرة الراوى فى موسم الهجرة إلى الشمال، وعلاقته الروحية المتشبثة ببيئة قريته وطعنه فى تذكرها فى غربته، وحين تواجده بها، على النقيض من البطل مصطفى سعيد، تتكشف لنا دقائق، وبانوراما الزمان الخالد بخلود الانفعالات، والعاطفة المكونة تجاهه فى لحظة ما، والمكان الذى يطل كمنتصر أبداً، فى رحلة اكتشاف الإنسان لذاته، وللحياة، بحثاً عن الخلود.

- يصف الطيب الصالح، فى تصريحاته الصحفية بأن دور الكاتب شبيه بدور المؤرخ،

هذا إلى جانب استشهاده دائماً بأقوال المتصوفة فى فلسفة «المعرفة». كالإنسان يحمل فى داخله معلميه.

لا يختلف هذا المنظور عن تصريح «بروست» فى إحدى رسائله بأن دوره شبيه بفضائل العالم - دقة الملاحظة، والأمانة فى تناول الحقائق، والإصرار على اكتشاف بعض القوانين العامة، وبأنه كان وصفياً، برغم كل صوفيته...

٢ - لقد سعا كل من الكاتبين لتحقيق ذاته فى أعماله الأدبية، فعكس حياة وزمناً مفقوداً أمكن صياغته، كرديف للواقع، فتحقق به الكشف عن الذات وتم تحقيقها، عبر المتخيل الروائى، كامتداد للواقع المعاش.

يرى بروست بأنه من بين الأشخاص الذين ساهموا فى تكوين ذاته الفردية، الشخص الذى تمسك أكثر بالحياة، فيلسوف لا يستشعر السعادة قط إلا إذا اكتشف الصفات المشتركة التى تضم عملين معاً، وإحساسين معاً، ومخلوقين معاً.

٣ - هنا يلتقى الكاتبان، من جديد فى العمل الروائى.. فالطيب صالح جعل من الراوى نقيضاً لمصطفى سعيد.. رجلاً متمسكاً بالحياة، عنيداً لا يساوم بها، وإن لاحق طيف مصطفى سعيد إلى قرابة الغرق. هذا كما أن الرواية تقوم أصلاً على مخلوقية (الراوى) ومصطفى سعيد، متباينين تماماً لإظهار الإحساس والبرود، والنهج المغاير لكل منهما للتعرف على الحياة.

بهذا الاختلاف النوعى، أمكننا إدراك الإيحاء إلى صفات مشتركة يمكن توافرها فى النفس الإنسانية المتنازعة، لتحقق سعادتها والتعرف على منظومة الحياة: بهذا المفهوم.. بتوفر شخصيتين رئيسيتين، بمنظورين متفاوتين للحياة. استطاعت موسم الهجرة إلى الشمال أن تضم عملين معاً لاكتشاف بعد ثالث، غير متطرف/ كمصطفى سعيد، أو مثقف مهادن يحاول رغم لا اقتناعه من صميم دواخله التوفيق بين واقع مجتمعه ، وبينه كمثقف ناقد ومتشكك عاد من أوروبا.

تقوم فكرة / فلسفة بروست، فى رواية «البحث عن الزمن المفقود» على التغلب على مسيرة الزمان قدماً، وذلك بإيقاف عجلته بالتذكر، فكانت «كعكة المادلين» التى أهدتها له عمته، بؤرة الرحلة إلى الماضى، فكلما تمثلت فى مخيلته سوى أن تذكرها، أو داهمته فى اللاوعى، انتشى وإتلق حاضره. فى هذه اللحظة تنتصر الذاكره/ الماضى على مسيرة الزمن الهدام، ويتحقق مفهوم الخلود، كوقوف ضد تيار الزمن، نحو الأمام. أما

الراوى فى «موسم الهجرة إلى الشمال» فلم تكن تعاوده لحظات الماضى/ النوستالجيا كثيراً، لأنه استطاع ان يطور علاقته بالماضى كامتداد للحاضر، اى انه لم يفتقد الماضى فتنقطع صلته به، ولم يجعل حضوره كزمن آخر، وإنما كرديف للحاضر، فلم يتألم لفقدانه لكونه امتداداً لحاضره فحقق عبر الإتزان سعادته فى قريته (ودحامد) حينما اظهر الكاتب بطل الرواية مصطفى سعيد على مسرح الأحداث كانت تطل من ورائه كنقيض للراوى فلسفة/ فكرة الرواية، في تيمة الزمان، والمكان، مثلاً، فالبطل نشأ فى بيئة بلقع ولم ينشىء علاقة مع فرد ومجتمع ما ولم يشده حنين إلي مكان او يستحضره زمن مفقود يتشبث بأناسه، وبأواصرهم .. لا شئ البته سوى مواصلة الرحلة قدماً فربما زمن/ مجتمع أو مكان/ وطن ، يطرأ فى حياته فتستقر دواخله الشاغرة، ويتبين له هدف فى الحياة. إن الروايتين مسكونتان بهاجس الزمن، وسيكولوجيته، والتغيرات التى يحدثها .. فحياتنا معركة مع الزمن فى هذه المعادلة الصعب، بين التشبث بالحياة، التى أسس لها «الزمن المفقود» جمالاً وطمعاً فى الخلود وبين النسيان، أو لغز الموت يطلب كل من كاتبى الروايتين - عبر تحقيقهما لذاتيهما فى الكتابة الإبداعية - الخلاص فى الحب ، والصداقة كما صرح بذلك بروست فى روايته هذه، والطيب صالح فى «بندر شاه» : «الإنسان يا محيميد، الحياة يا محيميد، ما فيها غير حاجتين الصداقة والمحبة».

٤ - بالتدقيق فى تحقيق الكاتب لذاته، نجد أن الطيب صالح عالج بالرمز، والإيحاء فى شتى أعماله الأدبية، علاقة الإنسان بالمكان والزمان، لأنه كما صرح فى لقاءاته الصحفية، وفيما تعكسه أعماله، ظل مشدوداً إلى موطنه.. ففى إغترابه حركت النوستالجيا كل طاقاته الإبداعية، يقول الطيب صالح ربما لو لم اغترب، لما كتبت.

٥- وفى حديث آخر يقول «العنصر الطاغى على كتاباتى هو الحنين إلى عالم أحس بأنه ينقرض رغم اننى أسعى إلى الإنجراف مع هذا التيار، حتى لا يتحول ما أكتب إلى وقوف على الأطلال».

٦ - يكتب موروا عن بروست قائلاً «بأنه كون وطناً يفعل العواطف، واستشهد على ذلك بالتاريخ الفرنسى السياسى وثوراته، حيث يظل بفعل الانفعالات، والعواطف كقيم ثابتة».

٧ - على صعيد آخر حينما أُدين مصطفى سعيد، فى محكمة جنائية بلندن، تحركت

فى داخله الذاكرة الجماعية، فأحس بأنه يدان كمستعمر من قبل مستعمرين، وليس كجان فى قضية فردية. إننى اسمع فى هذه المحكمة صليل سيوف الرومان فى قرطاجة وقرقعت سنابل خيل اللنبى وهى تطأ أرض القدس.

٨ - إن هذه النقطة لها ابعادها النفسية العميقة، حيث ينبسط المكان ليشمل الوطن وينقلب الزمن ليرتد إلى الماضى كتراكم لصفات الفرد. اى اننا لا يمكن أن نضع حداً لتداخل الماضى مع الحاضر، ولا يمكن ان نبت فى مصير الفرد، دونما الإلمام بدوافعه الخفية التى تقبع تماما، خلف ما يتبدى لنا.. هنا نتذكر صورة الأسود فى ذهنية الرجل الأبيض كعلاقة لا تقوم على العقلانية، والإنطلاق من معضلة معينة، لأن عقدة الإحساس بالتفوق، وشعور الآخر بالتحدى، تطوقان العلاقة بطقس مضبب. فى علاقة الإنسان بالمكان، والزمان، ندرك فى كل من الروايتين ان المكان ظل ثابتاً على نحو ما فى وجه تقلبات العواطف التى كونت تجاهه فى لحظة محددة.. اى ان المكان ثابت ومنتصر ابداً، على ذواتنا المتغيرة.. فنظل نبحث عن مكان معين نحن إليه، فى تلافيف الماضى، وذلك ليس لاختفائه كموقع محسوس، وإنما للتغير الذى اعترى عواطفنا/ اللحظات الخالدة تجاهه.

فالتغير الزمنى الذى طرأ على ،ودحامد، لاسيما فى ،بندرشاه، ومريود هو عكس لقضايا معاصرة كالسلطة، والمدينة، على أرض القرية التى تحاول الثبات فى وجه التغيرات. أما التغير الزمنى فى موسم الهجرة إلى الشمال، فهو تغير دلف من الخارج فى طيف مصطفى سعيد، وهو تغير تراجيدى، أسفر كذلك عن واد الأعراف العقيمة ونهضة المرأة، وأزمة المثقف، العائد من أوروبا ونهج تعامله مع بيئته، كرافض لها أو منطلقا من الواقع كما فى شخص الراوى ،وختام رواية قنديل أم هاشم، ليحيى حقى.

يكتب موروا فى تحليله لعلاقة الإنسان بالزمان ،بأن الذوات الإنسانية لا تعدو عن كونها منسلخة وثابتة.

٩ - فالأولى تدرك بأن الفرد متجدد فى علاقته مع الزمن، لا شئ يشى بالثبوت، على النقيض من الذات الإنسانية الثابتة، التى تؤمن بلا تجدد شخصية الإنسان وثبوتها فى وجه التغيرات التى يحدثها الزمن. رغم تشبث بروست ،بالذات الثابتة، وإيهامه لنفسه بها، كى يحافظ على علاقته بالزمن المفقود إلا انه كان يدرك تماماً بأنه ما من شوء ،ثابت، أو خالد.. إن تردده فى هذه العلاقة المزدوجة كان قابعاً فى تشبيت تيار

الزمن باستعادة الزمن المفقود/ الماضى، فى الذاكرة، أى أنه ثمة ذات ثابتة، وليست منسلخة تماماً، وإلا لما تواصل الماضى مع الحاضر، ،من هنا نشأت الفكرة المركزية فى الكشف عن الزمن، فى دواخلنا، وليس فى الأماكن التى كنا نرتادها.،. لأن المحك هو الانفعالات والشعور الذى يتأجج فى دواخلنا تجاهها.

١٠ – إن رحلة البحث عن الذات، تتمثل لنا فى موسم الهجرة إلى الشمال فى شخص مصطفى سعيد الذى لم يكن يملك أى شىء من مقومات الحياة الاجتماعية أو المقدرات المحسوسة سوى ذكائه.

١١ – لقد كانت رحلته أشبه بأسطورة إغريقية، أو صورة ،لفلسفة الجنس، للورنس، كثورة على المجتمع الحديث/ الحضارة من أجل الانتصار للبدائية بتحرير الجسد من الكبت وبلوغ مرحلة الأتراكسيا/ ،التوازن، بالاعتراف بمتطلباته وتحقيقها.

أما الراوى فرحلته هادئة فى البحث عن الذات إلى أن أدرك فى نهاية المطاف بأن المنتصر الأوحد هو المكان وأنه ليس هناك فشل أو نجاح نهائى، وأن الحياة كالنهر حقيقتها الوحيدة فى عدم انقطاعها عن الاستمرارية.

١٢– إن السفر فى هذه الرواية ليس صوراً حسية للعالم، وإنما مفتاح للكشف عن الذات الإنسانية من خلال نوستالجيا الراوى لقريته، وتساوى الأمكنة والأزمنة قاطبة فى منظور البطل، أما السفر عند الكاتب/ الطيب صالح، فقد حرر طاقاته الإبداعية فأنشأ زمناً، وبيئة/ مكاناً مرادفاً، كامتداد متخيل لبيئته الأثيرة التى خاف أن تتلاشى على مرأى من بصره فخلدها فى أعماله.. بهذا المفهوم انتصر الكاتب على الزمن الهدام، وحقق خلوداً بالفن.

١٣– إن موتيف التذكر، والعلاقة بين ،الزمن الهدام والذاكرة الحافظة، يتمركز رواية البحث عن الزمن المفقود، وموسم الهجرة إلى الشمال باستعادة البطل لذكرياته بالقرية وبمصطفى سعيد، الذى أصبح امتداداً له وقدراً ملازماً لا سيما وأنه قد جعله وصياً على زوجته وأطفاله. يؤكد الكاتب لنا أهمية علاقة الإنسان بالمكان والزمان فى أقصى معانيها عبر التذكر حينما شارف الراوى الغرق وهو يتابع طيف البطل.. فى تلك اللحظة تذكر، نعم تذكر وأعاد علاقته بالشخوص الذين أحبهم وبالمكان، فامتدت إليه تلك الصور كيد للنجاة من الغرق ،كنت أحس بقوى النهر الهدامة تشدنى إلى أسفل.. كان ذهنى قد صفا حينئذ، وتحددت علاقتى بالنهر. إننى طاف فوق الماء ولست جزءاً منه.. إننى أقرر الآن أن أختار الحياة.. لأن ثمة إناسا قليلين أحب أن أبقى معهم

أطول وقت... صرخت... «النجدة».

١٤ - لقد أظهر الكاتب البطل على مسرح الأحداث بشكل عابر، وطوره فى الزمن المستعاد على مدى متون الرواية، كما فى رواية البحث عن الزمن المفقود. فمصطفى سعيد يظهر كغريب بين المحيين من أهل القرية، ويتعملق فى حياة الراوى بما رواه له عن حياته ، وبما احدثته من تغير بالقرية هو وهى عليها ومحب لها إن استعادة طيف البطل، من قبل الراوى، لم تكن توضح دائماً ماضى البطل، وإنما كانت كأداة للكشف عن مجتمع قرية ودحامد وللمكان من منظور الراوى كنقيض للبطل، فتجلت لنا معالم الحياة، وكيفية التعامل معها من منظورين متباينين تماما.

فى المقابل نقرأ موروا معلقاً على روايته الزمن المفقود: «إن الشخصية التى تظهر على المسرح بشكل مؤقت.. تغدو فيما بعد احد ابطال العمل، شأنها فى ذلك تيمة موسيقية.. تتطور بعد ذلك تدريجياً حتى تصير مركز السيمفونية».

١٥ - إن البنية الفنية لموسم الهجرة إلى الشمال، اعتمدت على إنسيابية الأسلوب والتسلسل الموضوعى، حتى انه يمكن للقارئ المتمعن أن يضع للرواية عناوين جانبية وينطلق ذلك ايضاً على البحث عن الزمن المفقود. وذلك لأنهما تجاوزتا المفهوم التقليدى، للزمان والمكان فى فن الرواية بالانتقال إلى عالم الذاكرة والسحر «الأسطورة»، والروح هذا كما أن الطيب صالح أظهر بوضوح تداخل الأزمنة بالقطع، والتغير الفجائى وبالأصوات القادمة من بعيد وباللوامع فى أعماله اللاحقة «بندرشاه ومريود».

لا يكتفى الكاتب بأن تتمحور تيمة المكان، والزمان الأحداث بالرواية، بل يجعلها موضوعة ملموسة لها صراعها وتدخلها الملحوظ فى أقدار الفرد كتعلق الراوى بالحياة لتعلقه ببيئة «ودحامد» يرتد بنا الكاتب إلى ظاهرة التناسخ، وتقمص المكان للذوات الإنسانية ، فينادى المكان بصوت مسموع أو يشير سراً بأن يتوقف عنده، كما فى بندرشاه إذ تلوح الرؤى والكشوف الخارجة عن الزمان فيراها كل من محميد، وسعيد، والطريفى ودبكرى وتقودهم إليها هواتف ونداءات غيبية خارقة.

استجاب محميد لهاتف يقول له «محميد تعال» ليتبع الصوت فى جوف الظلام إلى أن يصل قلعة ذات قباب عالية يتوهج الضوء من نوافذها كجزيرة سابحة فى لجة.

١٦ - حول هذا المضمون كتب بروست .. اعتقد أن هناك الكثير مما يقال بشأن الاعتقاد السلبى بأن أرواح أولئك الذين فقدناهم يتم سجنها فى أى كائن أو فى

حيوان.. تظل هذه الأرواح مفقودة بالنسبة لنا، حتى يأتى اليوم (الذى لا يأتى مطلقاً بالنسبة للكثيرين)، الذى يتفق أن نمر فيه بالشجرة، أو نستحوذ فيه على الشىء الذى يسجنها . حينئذ، تظهر، وتهتز وتدعونا بأسمائنا، وما أن نتعرف على صوتها، حتى يبطل عمل السحر. لقد حررناها لقد قهرت الموت، وعادت تشاركنا الحياة.

١٧ – افتتح الطيب صالح روايته بمقارنة الراوى العائد من أوروبا للبيئة الأوروبية وبيئة ودحامد وهى مقارنة تتمحور فى اللاوعى، والذاكرة فبدت ملامح الطبيعة، والشخوص محاطة بهالة ،سحرية، لأن الراوى كان يراها عبر دثار النوستالجيا، ولحظات ذكرى خالدة، مازالت أحساسيسه متقدة تجاهها أنها مقارنة اقرب إلى دمج تيمتى النوم واليقظة.

١٨– يكتب موروا عن رواية البحث عن الزمن المفقود قائلاً ،إن الكتاب يبدأ بافتتاحية تدور حول موضوعى النوم واليقظة، وهى اللحظات التى يمكن أن نرى فيها بوضوح تام انقلاب الزمن وتفكك الذات ودوامها السرى. إن الأشياء ومشاهد الريف، والسنوات العابرة تداعب الراوى.. إننا نتهيأ الآن للتجول بين ذكرياته،.

وهو عينه ما تقرؤه فى موسم الهجرة إلى الشمال، إثر لقاء الراوى بأهله، هيأنا الراوى للتجول بين ذكرياته على ساعد النيل، ومع جده..

يمثل افتتاح كل من الروايتين بالزمن، والمكان فى اليقظة أو الصحو. جلاء الذاكرة اللاإرادية واستعادة الزمن فى أطيب أوقاته، فى النقاط التالية من رواية البحث عن الزمن المفقود نلتمس التقارب أكثر برواية موسم الهجرة إلى الشمال، لاسيما أن علاقة الزمن بالمكان، كفكرة أساسية فيهما استقطبت سلسلة الأحداث فى عقدة مركزية واحدة:

١٩ – بالرواية الفردوس المفقود أرواح حية وقوية تقوم بحراسة الراوى معنوياً فى المقابل نجد الجد مثلاً مثلها بموسم الهجرة إلى الشمال.

٢٠– يبدو أن كل شىء منتمى إلى هذا العالم فى حالة من السحر الجميل: الشجر، التجوال، كل الأشياء تشاركه هذا السحر الغارق، وهو ما نلمسه كذلك بيئة الراوى بـ ،ودحامد، وإحساسه بالسعادة فى تجواله بين طرقاتها وأشجار النخل.

٢١– (الأسرار التى تحيط بالراوى تشبه الأساطير) كسر مصطفى سعيد، الكامن فى غرفة مبهمة ،افتح يا سمسم.،،

٢٢ –(ذكر عائلة جرمانت الارستقراطية التى لم تكن تتزوج من الطبقة الوسطى أو

الدنيا) فى المقابل نجد رفض العائلة الانجليزية لصداقة مصطفى سعيد بابنتهم، ورفض أهل ودحامد لتزويجه منهم لكونه «غريب» فارتبط بحسته، لكون أهلها غير مكترثين، كما يرى ذلك أهل ودحامد.

٢٣ - (قدر لحياة الراوى أن تظل مطاردة طويلة لكل ما يختفى خلف اسم جرمانت) كما هو الحال عند الراوى كالهجرة إلى الشمال إذ أصبح يتعقب أثر البطل إلى أن شارف الغرق.

٢٤ - «موضوعة» إضافية بالرواية ، تعد فى حد ذاتها قصة قصيرة وهو الحال فى موسم الهجرة باعتبارها رواية قصصية من قصتين أساسيتين وأحداث وشخصيات مساندة.

٢٥ - كل أنواع التجارب العاطفية التى خاضها الراوى فى «البحث عن الزمن المفقود» كانت علاقات مشوهة تقود من الفتنة إلى المعاناة، ومن ثم إلى النسيان... كما كانت تجارب مصطفى سعيد العاطفية مع الفتيات الانجليزيات.

٢٦ - فى الحب اكتشف الراوى الأنانية وتفاهة العالم وفشله.. وإن قيمة العالم تكمن فى الرغبة والذكرى. يطل امين بروست أما مصطفى سعيد فقد اتصف كذلك بهذه الصفات من خلال إقامته لعلاقات مختلة مع النساء الانجليزيات، وكان دافعه الأقوى هو الرغبة فى الحصول على النساء ونسيهن، من ثم ما أن وقعن فى شركه، أما ذكرى جين مورس التى اغتالها فظلت تتابعه وتتجسد هلوسة فى منامه، إلى أن قرر الاستجابة لها فانتحر.

٢٧- إن سوان، وجانت جرمان يتوحدان فى شخص الآنسة سانت لو.. وأخيراً يدرك الراوى رسالته الأبدية التى حملتها له الأشجار.. أما فى موسم الهجرة ، فقد توحد شخص الراوى بمصطفى سعيد، إلى أن أدرك رسالته فى الحياة فى نهاية المطاف، وهو يشارف الغرق، فكانت منفذ له، وفارق نوعى بينه، وبين البطل.

٢٨ - ينتهى العمل فى اللحظة التى قرر الراوى فيها البدء فى الكتابة وهكذا يلوب الثعبان على نفسه، بعد وصف لدائرته الضخمة أما بموسم الهجرة إلى الشمال ينتهى العمل من حيث بدأ الراوى بتعلقه بأهل قريته والمكان اللذين أحبهما أيما حب. «سأحيا لأن ثمة إناس قليلين أحب أن أبقى معهم أطول وقت..»

٢٩ - لقد قرر بروست منذ أن شرع فى كتابة الصفحة الأولى أن تنتهى الفقره الأخيرة من الرواية بكلمة الزمن، الذى يلمس فى وقت واحد السنوات المتباعدة والفترات القصيرة التى تتدرج بينهما أيام لا تحصى.. وحينما نسمع كلمة الزمن فى ختام

الرواية يذكرنا بتهوفن وهو يكرر النغمة النهائية كلون من التوكيد والانعتاق.

٣٠- بموسم الهجرة إلى الشمال افتتح الكاتب روايته بالزمن كذلك ،عدت يا ساداتى بعد غيبة طويلة، سبعة أعوام على وجه التحديد.

٣١ - وفى ختامها يغدو الزمن/ الحياة كأسمى ما يسعى إليه الفرد. وقد شارف الغرق ما من شيء سوى الانعتاق من ربقة الموج وصرخة مؤكدة كما فعل الراوى، النجدة النجدة.

٣٢- فى تحقيق الكاتب الطيب صالح لذاته عبر الكتابة تمركزت قريته فى اللاوعى، فكان عكسه للعالم المتخيل تراكماً لصور الماضى، الذى بدوره تجلى كامتداد بديهى للحاضر.. فالعالم الذى صاغه ليس مجرداً، فهو مأخوذ به، مشدود إليه.

٣٣- أما نحن قراءه فيبدو لنا واقع حياتنا المرير كحيز مرن يمكن صياغته على نحو افضل وذلك لأن مقدرة الكاتب تجاوزت بنا لذة القراءة إلى تحرير طاقتنا، والقدرة المباغتة على التحول فيبدى الكاتب من وراء عمله كمهندس معمارى، يصوغ لنا من نفس الحجر، والأرض التى اخترناها وطناً آخر، ظللنا ننشده، هنا تتأكد رسالة الفن فى ذروته حينما يصبح الواقع قابلاً لصياغة اخرى، وفقاً للتيمة الفنية والأدبية التى نختارها، من بين متون ما نقرأ أو نشاهد أو نستمع.

٣٤- هذا الاتجاه جمع بينه وبين حسن فتحى المعمارى المصرى الذى بنى قرية مصرية عام ١٩٤٥، والتى يقول عنها - الطيب صالح - قرية تنبض جدارنها بالألفة والجوار. لم اجد يستعين بمثل هذه الفكرة. نحن نبنى بيوتاً من الأسمنت والطوب، ولكن حسن فتحى اراد ان يجر الناس إلى أنفسهم من باب المعمار، والمعمار جزء مكمل للأدب والفن..

بناء على أندريه موروا، اعتمد بروست فى رواية البحث عن الزمن المفقود على تيميتين منفصلتين، وربط بينهما بعلاقة الاستعارة أو السببية، هنا نلتقى من جديد بنقاط التماس بين الروايتين، فموسم الهجرة إلى الشمال تقوم أصلاً فى بنيتها الفنية، على تيمتى الراوى، والبطل/ مصطفى سعيد/ بالرغم من تصنيف موسم الهجرة إلى الشمال ضمن روايات الشخوص والقصص، إلا أنها متداخلة مع روايات الأفكار، لأن البطل كان يمثل افكاراً فلسفية كالوجودية بحريته المفرطة/ اللاكترات، وتحمل مسئوليته تجاه الوهم، الذى صاغ به حياته، فقرر الانتحار أو الاختفاء من مسرح القرية. اما الراوى فتيمته تتمثل فى بحثه الخفى عن علاقة الإنسان بالمكان والزمان..



اما علاقة السببية بينهما فتكمن فى البحث عن الدوافع وما هيتها لخلق ، وتطور هذين الشخصين كنموذج لمجتمعين آمن، ومتصدع.

لا يختلف الكاتب الطيب كذلك فى أسلوبه وما هية الكشف عن كنة الأشياء، والذات الإنسانية عن بروست فجعل القارئ يتهيأ أسراراً ما تمكن وراء الشخوص والطبيعة، لا تستطيع الكشف عنها إلا بشحذ خيالنا، وحواسنا، فودحامد تبدو كأى قرية صغيرة بشمال السودان إلا ان منظور الراوى لها كعالم مثالى، وأسطورى تارة أخرى كما فى عرس الزين، جعلنا نلاحق عالما آخر يقبع خلف هذه البنية المحسوسة، التى قد تتفق كل الأعين فى وصفها، وتختلف لا محال الذوات الإنسانية فى إنطباعاتها نحوها، هنا يكمن الإبداع أو الاستحالة بإضفاء الأسطورية على مكان وبيئة نعهدها، فنواجه انفسنا بالسؤال:

كيف استطاع الكاتب أن يكشف لنا عن أسرار، وجمال هذه القرية مثلاً، ونحن مثله ابناءها، تأبى علينا هذا السر؟ هنا نبدأ فى رحلة الكشف عن الذات، لأن تقييمنا للعالم الخارجى نابع من ذواتنا، فالمكان الذى يتراءى لنا، أو نعيش فيه لا يمنح كل منا احساساً متشابهاً تجاهها. عمد الطيب صالح كذلك كبروست إلى الاحتياط من المواضيع المبتذلة، فتناول فى مجتمع القرية علاقة الإنسان بالمكان، والزمان وأثرهما

رؤيـــة

ألعـــاب الكتّـــاب

فريد أبو سعدة

يبدو ان الكتاب الكبار، خلال النصف الثانى من القرن الماضى، وحتى الآن بالطبع، لم تعد تكفيهم المخيلة القديمة وطرائقها المألوفة فى الإثارة. يقول ماركيز فى روايته الأخيرة (ذكريات): "كما أن هناك أحداثا واقعية يمكن نسيانها هناك أيضا أحداث لم تقع أبداً و يمكن أن تظل ذكراها كما لو أنها وقعت"!!

أعتقد أن هذه العبارة تتضمن مفهوما مختلفا للفن، فإذا كانت المفاهيم الرومانتيكية أو الراديكالية للفن من حيث قدرته على التغيير، أو التفسير أو تثوير الواقع، قد أصبحت من السرديات القديمة فإن فكرة توسيع العالم، فكرة الخلق والإضافة أصبحت هاجس الكتّاب، بمعنى أن اتجاها قويا لبعض الكتاب يعمل بالأساس على خلخلة كل المسلمات فما كان حقيقة، أو تم التواطؤ على أنها كذلك، أصبح مجالا للشك وإعادة النظر، وما هو خيال محض- لم يحدث أبدا- أصبح مقنعا كالحقائق الموضوعية.

فمن ألعاب كاتب كبير مثل بورخيس هذه الرغبة والمقدرة على خلق وتأسيس وقائع وشخصيات لم تكن أبدا، وإعطاء تكويناته السردية الخيالية مصداقية الحقائق الموضوعية، فنرى بعض قصصه تبدأ كما لو كانت دراسة علمية خالصة وأحيانا على شكل فكرة فلسفية أو طرح جدلى، وحيله فى ذلك متعددة، فقد يبدأ النص بفقرة من عمل أدبى قديم أو من مرجع تاريخى أو علمى، أو باستدعاء ومناقشة أسطورة قديمة أو فكرة فلسفية لم تحسم حتى الآن.

المهم هو أن يشرك القارىء معه فى ألعابه الذهنية الراقية والمحيرة، ويشده إلى

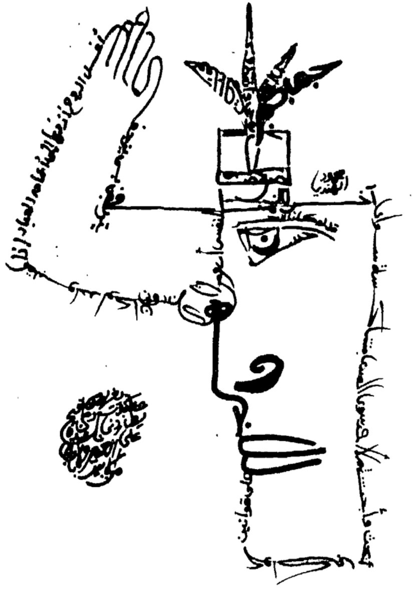
أطروحاته الميتافيزيقية المسببة للدوار، فهو مثلا فى قصته (الاقتراب من المعتصم) يستعرض رواية لا وجود لها و ينسبها لمؤلف لا وجود له، وفى (دراسة لأعمال هربرت كوين) يتوسع فى ذلك بدراسة أعمال كاملة لكاتب وهمى!!

ومن العاب ماريو فارجاس يوسا أن يقدم نفسه فى شخصيات مستعارة باللغة التنوع: شاعرا، ناقدا، روائيا، ثم لا يكتفى بذلك، بل يجعل الناقد يمارس عمله النقدى على كل من الشاعر والروائى. وخلق ماركيز مدينة من لا شىء مانحا إياها اسما، هو"ماكوندو"، وتاريخا أكثر حضورا من تواريخ بعض المدن الحقيقية، ثم ملأها بشخصيات وحيوات صاخبة، وهذا ما حاوله أيضا الروائى المصرى محمد البساطى فى روايته الخالدية".

وتأتى رواية (شيفرة دافنشى) للكاتب البريطانى "دان براون" فى هذا الإطار عملا حاذقا من أعمال المخيلة، بالمعنى الذى سبق، فهى رواية بوليسية مشوقة تعتمد فى حبكتها على مؤامرة عالمية تتعلق بالكأس المقدس(الذى يقال إن المسيح عليه السلام شرب منه فى العشاء الأخير)، وتخوض أحداثها فى تفاصيل كثيرة حول تأويل الرموز فى لوحة(العشاء الأخير) لدافنشى، حيث يمزج الروائى بين الأساطير وتاريخ الفن وتاريخ القرون الوسطى، مستفيدا من ممارسته المهنية فى هذه المجالات قبل أن يتفرغ للكتابة. وبالرغم من إصدار براون ثلاث روايات قبل شيفرة دافنشى هى: ملائكة و شياطين، نقطة الخداع، والقلعة الرقمية، حازت روايته تلك على شهرة مدوية، وتعد أسرع رواية فى الانتشار بعد سلسلة هارى بوتر، كما ترجمت إلى أكثر من أربعين لغة، وأثارت موجة من النشر والنشر المضاد لكتيبات توضيحية تساعد القراء على فهمها، وأخرى نقدية، دفاعية أو هجومية ترد على أفكارها المشتبكة بجراة مع المقدس المكرس من قبل الكنيسة.

وفى هذا الإطار الأخير تسلم مرشدوا دير "وستمنستر" كتابا يسمح لهم بالرد على أسئلة السياح الذين يتتبعون الآثار المذكورة بالرواية، وقال الأب "ويسلى كار": إن هذا الكتاب(الرواية) أصبح فى عداد الكتب الأكثر مبيعا فى العالم، و يتعين علينا أن نواجه بأفضل طريقة النتائج العملية لهذه الشعبية " مضيفا: "لدينا دور نلعبه أيضا لتثبيت الحقيقة والتمييز بين الخيال والحقيقة ".

لقد وصلت العاب الكتاب واجتراحاتهم لمناطق جديدة من اللعب الحر إلى الدرجة التى أصبحت تهدد الحقائق المستقرة، أو تلك التى تدّعى انها كذلك.



هكذا يتعين علينا أن نصدق دان براون الذى يقضى بعض الوقت واقفا على رأسه أثناء الكتابة عندما يقول: "البقاء فى وضع مقلوب يساعدنى على حل عقد الحبكة الدرامية عن طريق تغيير الزاوية التى أنظر بها إلى الأشياء"!

شعر

عـقـدة .. ولـهـا حـلال

محمود الشاذلى

دستور يا سيادى
على قد هواكم..
كلفتم زادى
ويكسر حطبكم
أنا قدت المنقد..
على صهد فؤادى
وطبخت مرادى
طب ليه أنا دايماً..
من رعشة أيدى
ينكب معونى..!؟
والجوع الكافر..
مقاسمنى ف سقفى،
ومعرى الروح..
من ستر إيمانى..!!

دستور يا سيادى يا أوتادى
يجعل قولى عليكو خفيف
وطريقى رصيف
مرصوف بسماكو..

العتمة الكاتمة شق دماغى
بكبسة بن
يجعل قلبى يبطل زن
ويلوف على عتبة وقفى الخن
بوريه يا مرارى
لفح سعالكم .. هيج شعبى
برد لسانكم .. سلا أفكارى
ودقونكو قتاد بيجرح كفى
وعيونكو سهاد بيكهرب فرشى
وأنا قلب الخسايه ف جنبى
بيكركرب أحلامى ف عبى
ويحمر عرفى
وأنا غاوى أدانى يعمر سمع الناس
ويعطر فى الإحساس
ولا أشرب ثانى سعير الكاس
ولا ابل صوابعى برعشة قلقى
واقلب فى الكرّاس..!!

دستور يا سيادى

انا مش باخشاكم
ولا حتى هايبكم
انا بس مقلق..
من طعم حنينى المترشق
فى سنون سنانيركم
وضميرى مجعمزع الشطط اسير
متعشم يغمز من صيدكم خير
والخير غرقان..
فى بحور لقمان
ونخيلى سبايط سعف جريد
لا تمر بيطرح ولا ضله
ولا حتى نوايه تبل الريق..!!

دستوريا دراع فتت عضله
دستوريا شراع ساب من قلعه
دستوركم ذاع
إنما متباع ورقات لـ اللف
او فرشة رف،
أو مسح قزاز..
شبابيك البيت والعربيات..!!

سألتنى الغاويه هوايا سؤال
رديت بجوابكم .. وفاتتنى
مأسوف الحال..!!

يا جنون متعكز على كتفى
انا ليه مستعجل على حتفى
دستور منشور على لمضة جاز
بقزاز كلحان
وفتيلها مهبب ومدغمس
بتفحم قولى المتجبس
على ورقى البور..!!
وانا جنى قديم
مجنون وحكيم
والعضمة اللاحمة على لسانى
خاتمة بتأشيرة على (البسبور)
تقزح ميت سور
وفانوسى ماجوسى عنيف الضى
فى نقح الضهر..
داير ما يدور..
بيطفى ضلام قايد فى الحى
والحى دروب
مافيهومش (جروب)
يتجمع يوم على أيها شى..!!

دستوريا رياح هابه بزعابيب
انا بدى لبيب
يداوينى واطيب
واحفظكم ذكرى تفوح بالطيب
واغنى بصوت طاير شحرور
منقاره وابور يحرت فى النور
وجناحه براح..
للموت جلاد
ولا اقول دستور،
ولا أقول كان لياف يوم أسياد..!!

شعر

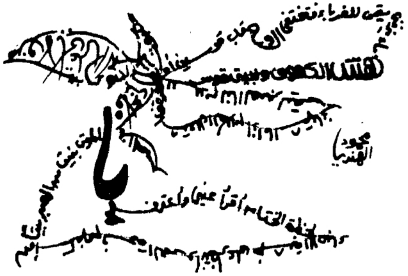
البلدة العظيمة

إيهاب خليفة

نعم
انتقل الأحياء إلى المقابر
وانتقل الموتى
إلى البيوت

وضع فى قصر الحاكم
جثة لحاكم قديم
على نفس الكرسى
المرصع بالجماجم
والدماء
ووضع حارسان
مقنعان من نفس الزمن
كان يفضلهما
ويؤثرهما
بالجلد
والسباب

المتهمون بالخيانة
بحث عنهم فى كل قبر
ورغم التشوهات التى دمغت عظامهم
والتى جعلتهم شبه مجهولين
إلا اننا على يقين
أنهم هم أنفسهم
الموتى المطلوبون
الذين عارضوا
ها هم مرة ثانية
يسمّون فى ساحة الإعدام
فى بقايا أكفان قذرة
وبأجسام يملؤها الدود
والغبار
وها هم الحراس النبلاء
ذوو الهراوات
الذين ساهموا فى القبض عليهم
بعد مطاردات الوحل
والغابات
والجبال
يقفون فى أكفانهم أيضاً
ومعهم



سياطهم
ونياشينهم
وخلفهم كلابهم ذات الأجراس
التى ترن
كلابهم المدربة السوداء
الميتة أيضاً
التى تكاد تنبح
ها هى
البلدة العظيمة
عادت كلها من جديد
القاضى الذى يأكل السحت
بمكر عينيه
وفتواه المعلبة

والوزراء
ذوو الأبراج العاجية
والجماهير
الذين لا يجيدون
سوى الهتاف

ولا ينقصنا الآن
سوى لعنة الروح
حتى يكون
المشهد لوحة حية
تخلو
من
الحياة

قصة

معـــــــاينـــة

شريف عبد المجيد

توجهت كما قال الضابط إلى عم محمود ليحرر محضراً بالواقعة . شاهدت ذلك الشاب - المربوطة قدمه بسلسلة تنتهى بقفل حديدى - الذى يجلس القرفصاء كالمعتلقين.

- ادينى سيجاره .. وضع الشاب يده الخاليه على فمه وهو يقول هذه الكلمة.

اخرجت علبة سجائرى واشعلت سيجارة ثم أعطيتها للشاب.

دخل عم محمود القى نظره سريعة على المكان لكنها متفحصة كأنه يبحث عن شىء ما. القى الشاب السيجارة بعد ما أخذ منها نفسا عميقا. حدجنى عم محمود بنظرة عتاب من نظارته سميكة العدسات.

- خير .. قالها عم محمود بنبرة حادة متصلة وكأنه يشتمنى ثم اشار لى بأن أجلس.

أخبرته بحادث السرقة. ثم أعطيته البطاقة

- بس البطاقة بتعتك صادرة من منطقة سكنية ثانية.

- فعلا أصل الشقة دى مقفولة وما برحش فيها كثير.

- وعرفت ازاى أن الشقة اتسرقت.

- الجيران كلمونى فى التليفون لما حسوا إن فى أصوات فى الشقة.

اشار عم محمود بيده للعسكرى الواقف أمام الباب المفتوح.

- نادى على سعيد ..تعالى وقع هنا على المحضر سعيد حيعمل معاك المعاينة، دخل شاب اشار له عم محمود...

- روح مع الأستاذ عشان المعاينة

هز الشاب رأسه وأشار لى بأن ابتعد، عند خروجنا قال لى احدهم والنبى اتصلى بالرقم ده من الموبايل بتاعك. عشان أكلم أمى واطمنها.. دكه سعيد بقدمه.. انت يا بن الوسخة مش لسه فيه واحد متصلك بيها من كام ساعه.. تلقى الشاب الضربة دونما صراخ أو حتى إصدار أدنى صوت ثم خرجت انا وسعيد من القسم.

- البيت ... بعيد

- شويه .. اوقف تاكسى

- لا.. مالكش دعوه انا هتصرف

اقتربت منا سيارة ميكروباص .. اشار لها سعيد بيده فتوقفت على الفور.

- نزل الناس دى.

- يا سعيد باشا.. ده إنا لسه مستلم الوردية.

- نزلهم يا بنى الوسخة

نظر السائق للركاب وأوقف محرك السيارة التى نزل منها الركاب تباعا وكأنهم معتادين على ما حدث.

ركبنا السيارة سويا وسألنى السائق .. على فين.

- الشقة فين يا استاذ قالها سعيد وهو يشعل السيجارة

- الطوابق عند محل الجوكر .. أول يمين شارع محمد النادى.

- سامع

- ايوه يا باشا

توجه سعيد بحديثه إلى.. تتهم حد معين بسرقة الشقة

- بصراحة.. لا

- هو ايه إللى اتسرق من الشقة

تلفزيون توشيبا عشرين بوصة تورنيدو والريموت والماكواه وكل الهدوم الـ فى الدولاب حتى شبشب الحمام

- فضحك سعيد وسائق الميكروباص الذى أردف قائلاً:

- ربنا يعوض عليك

توقف الميكروباص أمام البيت

- استنى هنا يابن الوسخة لحد ما ننزل

- ما تشتمش يا سعيد باشا

- نعم يا روح أمك

تدخلت محاولا الا يتفاقم الوضع بينهما... معلش كفاية العطلة اللى احنا سببنها له.

- مالكش دعوه أنت.. قالها لى سعيد بشكل حاد وحاسم

- صعدنا سويا للشقة.. ثم فتحت الباب بالمفتاح

- إيه التراب ده كله أنت مش قاعد فى الشقة ولا إيه

- لأ ما أنا قولت الكلام ده للضابط ولعم محمود حتلاقيه فى المحضر.

- واضح ان اللى سرق عارف الشقة كويس.. لأنه ما دخلش من الباب.

- ممكن .. حضرتك فيه أثار اقدام عند باب البلكونه

- يبقى زى ما أنا اتوقعت بالضبط

- هوه.. حضرتك مش حتأخذ البصمات

- نعم.. هوه فيه حد بيأخد بصمات الرجلين.

- لا... عندك حق

- اكيد كانوا اثنين واحد نط من شباك الحمام والثانى استناه فى السطح.. ممكن يكونوا الجيران.

- لا.. ما افتكرش.. دول ناس طيبين

- طيبين .. طب ادينى رقم موبايلك

- اتفضل .. الرقم اهوه وكمان رقم البيت

- احنا هنعمل اللازم وهنبقى نتصل بيك.. الأحسن تبيع الشقة ما دام مش قاعد فيها.

- إنشاء الله فى أقرب فرصة

ثم دخل البلكونة.. ليرى سائق الميكروباص..

خرج مسرعاً.. ابن الوسخه سابنى ومشى، قالها بعدما وضع العشرين جنيه التى أخذها منى فى جيب بنطلونه الجينز الصغير والذى يقع فوق جيب أخر اكثر اتساعاً..

قصـــــائد

مراد ناجح عزيز

مناديل

بيخبط..
لقى باب الدنيا مفتوح
قام داخل
وما ستناش
وبرغم ضعف إحساسك بيه
وبرغم شهقة شقاوة العمر ف ضلوعك
مالفش ف البعد روحه
وقال يا فكيك ولا قال يا عذاب
خبط ع الباب
ودخل..
ويا طفل البراح اللى اتولد..
مناديل..
بتلم عرق الغلابه ع الجبين
وتنشفه
وقبل ما تسخن جواك حاجات قديمه
تصحى الصيف

قوم

وخد تحت باطك إحساس طرى

وصورة البنت اللى وقفت قدام عنيك

وادتلك أمل..

لقى باب الدنيا مفتوح..

الأحلام بتحب هدوء

بس وانت بتحلم

ميكونش باب الحلم وارب

اتغطى ونام خفيف

واقفل وراك

احسن يدخل حد مش عامل حسابه

جرح كان ولا بشر

أو إحساس ف قصيده..

بطعم جوع الغلابه،

ودمهم

الأحلام بتحب هدوء

وانت ما بتصدق حلم يجيلك من ورا الأيام

سرقه

وبعد طول انتظار

الحلم موال النهار، ودوار المكن،

والبنت اللى عسل شفايفها مقطوف م الجنة

وطن..

فيه كل ما تشتهى لعنيك/ فرح

وكل ما زرعه الطغاه

ف النار

بس وإنت بتحلم..

..

اتغطى ونام خفيف

واقفل وراك

رتابه

الدنيا بعد الساعة سته

زى الدنيا قبلها..

ناس مسافره

وناس معازيم،

وبيوتنا المش واقفه على عمدان،

ونس القهاوى،

وكحة أبويا..

اللى السجاير هزمت الباقى منه

والبحر هو البحر

والحياه نفس الحياه

نفس التوهم والحذر

والانتباه

نفس الوطن..

اللى شايل ع الكتاف قربه مخرومه

وماشى يجر خطواته،

وأنا وعنيك

وشباكين ف القلب باصين للسما

بعتاب

والطيبين

قايمين للصلا

من دهشة الاسئلة ع الباب

ترجمة

جون أشبرى
أمير الشعر الأمريكى

ترجمة وتقديم: عبد الوهاب الشيخ

ولد جون أشبرى الشاعر الأمريكى الكبير عام ١٩٢٧.

درس فى دير فيلد وهارفارد. بعد تجارب البدايات فى نيويورك، التى أذاعت شهرته كواحد من أهم الشعراء الطليعيين وأكثرهم قابلية للفهم، وبعد أن أصدر العديد من المجموعات الشعرية، منها «بعض الأشجار» (١٩٥٦) و«حلم الربيع المزدوج» (١٩٧٠) و«أرق» (١٩٩٨) ترجمت أشعاره إلى معظم لغات العالم وأصبح يعد «الملك المتوج» دون منازع على عرش الشعر فى أمريكا الشمالية. والقصيدة المنشورة مأخوذة من ديوانه «your name here»، وهى تعطى انطباعاً عن فنه الشعرى الذى يعنى بما هو مدهش فى الأشياء والأحاسيس، كما يتضمن مونولوجات وحوارات ليست مقصودة لذاتها، ولكنها تثير موضوعات عميقة فى إطار الثقافة العالمية.

كارافادجو(١) وأتباعه

أنت فنانى المفضل. رغم ذلك فأنا أعرف

القليل عن عملك. وأعرف بعض أتباعك:

ماتيا بريتى الذى كدح بشدة مخلفاً أثراً

ضئيلاً (لكنه كان كافياً). ولوكا جوردانو(٢)، الذى كان

---

(١) Caravagio(١٥٧٣ - ١٦١٠) رسام إيطالى

(٢) Luca Giordano (١٦٣٢- ١٧٠٥) رسام إيطالى يعتبر أبرز رسامى نابولى فى عصره.

متورطاً مع بعض الألوان الحمراء القاتمة التى لم تستعمل
أبداً، ودرجات الأخضر الساطعة،
مع هذا فقد كشف النقاب عن سر نبات قفاز الثعلب.
ولكن متأخراً. فلقد تلاشى تماماً
بعد أن زرع فى مكان آخر.
شخص ما أرسل بعض الخبز
وزجاجة نبيذ ليسرى عنه
بيد أن السر القديم لقفاز الثعلب،
ما كان ليكتشف، وسوف لا ينقضى أبداً.

أقول، إذا ما كنت تهيل القش على جانب كومة
منه، ربما كان ذاك هو الفن الإيطالى. وقد لا يكون كذلك.
لدينا هذه الأشياء فى أيوا،
أيضاً، حيث تتدلى فى المساء عبر المدى غير المشذب
لجفن العين، كلا شىء تقريباً،
ماذا كان ذاك قالت، فى الخلف هناك، عند البداية؟
«أزهار السيدة المجاورة لنا تشرع فى التحليق،
فماذا سيفعل روبين المسكين حينئذٍ؟».
إن هذا حقيقى، فلقد كانت تندفع فى الهواء،
كل ثانيتين مثل صواريخ من منصة إطلاق، وما من
أحد بكى، أو حتى قد اهتم.
تطلع خارج النافذة فى أى وقت، وسوف ترى مع ذلك
موضع الاختلاف. إن أغنية الأجمة
لا يمكنها التخلص من اللغز الخاص بطبيعة خلقنا،
أو كيف نمضى فى طريقنا، نهتم فى البداية بشىء، ثم
بشىء آخر حتى نصل إلى شارع عريض
وسطه مزدحم بأشجار لحاؤها الذى يتساقط بجنون

له لون فرس أغبر،
ربما، أو كلب صيد أيرلندى، بإمكان المرء أن ينتظر
عند الحاجز الحجرى بقية
حياته، لأجل كل ما يهم أى إنسان، أو يمكنه
أن يعبر عندما تتغير الإشارة خضراء، مثلما فى الثنايا
الياقوتية
للصدار الموشى بالحرير التى ربما يكون لوكا جوردانو
قلقاً بشأنها.
والآن ها هى الحياة، لكن كما قال هنى بنى
لـ تاركى لاركى، هناك شىء
يحوم فوقنا، يريد أن يدمرنا، لكن انتظر
رغم أنه لا أحد يعرف ماذا تنتظر بالضبط.

فى ليل المتحف، مع ذلك، هناك من يتهامسون كالنجوم
ويتحدثون بحرية مع بعضهم البعض، بعد أن مضى الحراس
إلى بيوتهم.
لم راح ذلك الرجل يحدق، ويحدق؟ طوال
الأصيل، كان يبدو وكأنه يحدق
فى، رغم أنه لم يكن يرى شيئاً بوضوح.
فقط شذرات من رؤيا
خب ضائع أمام إحدى البرك.
لم يكن بإمكانى التحمل أكثر من ذلك، لكن لحسن الحظ أننى
لم أكن مضطرة لهذا.
ها هى التجربة تنتهى. واقترب الآن وقت الوقوف
فى جانب ما، اقترب جداً.

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com رابط بديل



الأمل للطباعة والنشر رقم الإيداع ٧٥١٢ / ٩٢ «الثمن: ٣ جنيهات»